جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



ملامح إصلاح التصوف
في فكر الشيخ أحمد محمد رضوان

الدكتور
عبد الحافظ أحمد طه
قسم الأديان والمذاهب- كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة -
جامعة الأزهر - مصر

ملامح إصلاح التصوف في فكر الشيخ: أحمد محمد رضوان

عبد الحافظ أحمد طه
قسم الأديان والمذاهب- كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: AbdelHafezTaha2113@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على جهود الشيخ: أحمد محمد رضوان المتوفي سنة ١٩٦٧م – عليه سحائب الرحمة والمغفرة، في مجال إصلاح التصوف، حيث لم تحظ سيرته باهتمام بالغ بين الباحثين، على الرغم من أهمية أقواله في مقام الإحسان، وفي مجال إصلاح التصوف بوجه عام، وتكريمه في جامعة الأزهر.

واتبع الباحث المنهج التحليلي والاستقرائي والتاريخي، ومن النتائج التي توصل لها البحث ما يلي.

– التصوف في نظر الشيخ مبني على الكتاب والسنة، ووضح أن أيَّ خروج عنهما يعد خروجا عن سنن التصوف الصحيح.

– ربط الشيخ بين الفقه والتصوف برباط متين.

– ذكر الشيخ أهمية المربي في سلوك الطريق إلى الله، ووضع له شروطا وصفات، كي يؤخذ هذا العلم عن أهله، المختصين به.

– نظم الشيخ العلاقة بين المريد وبين شيخه، عبر آداب يتحلى بها معه، مثل الاستئذان أثناء الدخول عليه، ولزوم الأدب في مجلسه، ومن حُرم الأدب حُرم العطاء.

– أعلن الشيخ أن ميزان مقياس الولي الصادق من الدعيِّ الكاذب، هو تقوى الله.

– أكد الشيخ على جانب الاهتمام بالمريدين، وتربيتهم تربية ربانية،

ومساعدتهم في اقتحام عقبات النفس الأمارة بالسوء.

- الفناء الذي يدعو إليه الشيخ هو الفناء عن حظوظ النفس وشهواتها ورغباتها، بحيث لا يكون في القلب مثقال ذرة لغير الله، وهو ما يسمى بالفناء عن إرادة السوي، وهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي عليه المرسلون، وأنزلت به الكتب.

- صحح الشيخ الفكر المغلوط عن التصوف بأنه يدعو إلى التواكل والانعزالية، وترك التكسب والعمل والإنتاج.

- لم يوافق الشيخ على توجه بعض أدعياء التصوف إلى الغلو في آل البيت (ﭬ).

- قام الشيخ بتقديم نقد لاذع لمن يقول من الصوفية الأدعياء برفع التكاليف الشرعية عن العبد حين وصوله إلى درجة معينة من العبادة.

- رد الشيخ على من يدعي بأن التصوف يقوم على عقيدة الحلول والاتحاد.

- فلسفة وحدة الوجود في نظر الشيخ مستنبطة من دلالات اسم الله (القيوم).

ومن التوصيات التي خرج بها البحث: دراسة أقوال أئمة الصوفية والزهاد المتعلق بالإصلاح المجتمعي- فكريا واقتصاديا، وأثر توجيهاتهم في العصر الذي كانوا يعيشون فيه، ومدى الاستفادة منها في واقعنا المعاصر.

الكلمات المفتاحية: إصلاح التصوف- الشيخ: أحمد رضوان- المربي- الفناء- المريد.

Features Reform of Sufism In the thought of Sheikh Ahmed Mohammed Radwan

Abdel Hafiz Ahmed Taha
Department of Religions and Sects - Faculty of Islamic Call in Cairo - Al-Azhar University - Egypt
E mail: AbdelHafezTaha2113@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to shed light on the efforts of Sheikh Ahmed Muhammad Radwan, who died in 1967 CE - he has clouds of mercy and forgiveness, in the field of Sufism reform. And honoring him at Al-Azhar University.

The researcher followed the analytical, inductive and historical approach, and among the findings of the research is the following.

• Sufism, according to the Sheikh, is based on the Qur’an and the Sunnah, and he made it clear that any deviation from them is a departure from the Sunnah of authentic Sufism.

• The Sheikh linked jurisprudence and Sufism with a solid bond.

• The Sheikh mentioned the importance of the educator in taking the path to God, and set conditions and prescriptions for him, so that this knowledge would be taken on behalf of its family, those who specialize in him.

• The sheikh regulated the relationship between the murid and his sheikh, through the etiquette that he possesses with him, such as seeking permission during entry to him, and the necessity of literature in his council, and whoever is forbidden to literature is forbidden giving.

• The Sheikh declared that the scale of the scale of the true guardian is from false supplication, it is the piety of God.

• The Sheikh emphasized the aspect of caring for the disciples, raising them divine upbringing, and helping them break into the obstacles of the soul that ignores evil.

• The annihilation that the Sheikh calls for is the annihilation of the self's fortunes, desires and desires, so that there is no weight in the heart but an atom other than God, and this is called annihilation from the will of the righteous, and this annihilation and this survival is the reality of monotheism that the messengers have had, and the books were revealed in it.

• The Sheikh corrected the misconception about Sufism, that it calls for dependency and isolationism, and forsaking profit, work and production.

• The Sheikh did not agree with the tendency of some of the claimants of Sufism to go to extremes in Ahl Al-Bayt - may God be pleased with them.

• The sheikh presented a scathing criticism of those who say of Sufism, the pretenders, by raising the legitimate costs of the servant when he reaches a certain degree of worship.

• The Sheikh's response to those who claim that Sufism is based on the doctrine of solutions and unity.

• The philosophy of pantheism in the view of the Sheikh is deduced from the connotations of the name of God (Al-Qayyum).

• Among the recommendations that came out of the research: Study the sayings of the imams of Sufism and asceticism related to societal reform - intellectually and economically, and the effect of their directives in the era in which they lived, and the extent to which they are used in our contemporary reality.

Keywords: Reforming Sufism - Sheikh Ahmad Radwan - Educator - Fnaa - Murid





مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي بسط في الكون دلائل معرفته، واصطفى من خلقه ممن رقاهم إلى درج كرامته وصفو محبته، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، أشد الناس لله خشية وتقوى، وأكثرهم ملازمة للذكر، معدن الأسرار، ومنبع الأنوار، قلبه دائم الحضور بين يدي ربه، فما غفل قط، وما ضل وما غوى، بلغ المراتب العلى، حتى كان قاب قوسين أو أدنى، كان دائم الاتصال، مستمرا على الوصال، ورضي الله عن صحابته سادات الأولياء والمتقين، الذين كانوا في مقدمة الواصلين بعد الأنبياء والمرسلين، عرفوا ربهم فخافوه، وغشيتهم رحمته فأحبوه، ورضي الله عن جميع من اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن الله – تعالى- صيّر أولياءه بين الناس أعلاما ودلائل إليه، يعرفون بسيماهم بين خلقه، من رآهم ذكر الله، ومن جالسهم وقع أسيرا في محبتهم، في مجالسهم تتجلى الرحمات، وتتنزل البركات، وفي وجوههم تتلألأ الأنوار، وفي نفوسهم نقاء وصفاء، وفي كلامهم علم وعرفان، ونفع وبيان، ومن هؤلاء الذين وصلوا إلى درجة القرب، وتنعموا بمقام الشهود، الشيخ: أحمد محمد رضوان- عليه سحائب الرحمة والمغفرة، فكم رأيت – وأنا صغير- صورته في بيوت من أزورهم من أقاربي في صعيد مصر- معلقة على الجدران، وحكى لي عن سيرته الركبان، فكنت أستمع وأنصت، بلهفة وصبوة، وشغف ومحبة، فلما عقلت، وعرفت التصوف عن كثب، دراسة وقراءة، وجدت أنه لم يُعن بكلامه

عناية مناسبة له، ولم تحظ سيرته باهتمام بالغ بين الباحثين، على الرغم من أهمية أقواله في مقام الإحسان، وفي مجال إصلاح التصوف بوجه عام.

ولعل ذلك يعود- في نظري- إلى أنه من أواخر محافظات صعيد مصر (من محافظة الأقصر)، حيث بُعد المكان، وكذلك طبيعة الناس في هذه المناطق، الذين لا يأبهون بالكتابة عن الشيخ وأمثاله، بقدر ما يشغلهم العمل بكلامهم، والحديث عن أحوالهم، والتيمن بذكر كراماتهم، والاقتداء بسيَرهم الزاكية.

فاستخرت الله – تعالى- أن أكتب هذا البحث للكشف عن جزء من تراث الشيخ الثمين، ولإظهار بعض من كنوز أقواله، و درر من مكنون مواعظه، جمعتها والهدف الأسمى أن أبين أن للتصوف رجالا بحق، كانوا ولا يزالون، دأبهم إصلاح ما فسد، وتصحيح المعتقد، ورد الشارد، وتذكير الغافل، وتنبيه الساهي، ورأب الصدع، وتقويم ما اعوج، فشيوخ التصوف المتحققون لا ينقطعون، وما خلا الكون من الأولياء والأصفياء، ولا من المنيبين والمخبتين، ممن ذاقوا فعرفوا، وعرفوا فاغترفوا.

كما القصد بيان أن كلام المستأخرين من المشايخ المستقيمين في معالم الإصلاح، متصل بكلام المستقدمين منهم، مبنى ومعنى، مفهوما ودلالة، تضمينا وإشارة، فالمعين واحد، والشرب واحد، وكلٌّ إرواؤه بحسب استعداده وما قدّرته له يد العناية الإلهية، ونسأل الله أن يكتب لنا في هذا الرِّيِّ نصيبا وافرا، وفي السلوك قدما راسخا، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث الذي وسمته بعنوان (ملامح إصلاح التصوف في فكر الشيخ: أحمد محمد رضوان).

أسئلة البحث:

يُتوقع من البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية.

١- من هو الشيخ: أحمد رضوان؟

٢- ما هي المصادر التي تناولت حياته سيرة ومسيرة؟
٣- ما هي ملامح إصلاح التصوف في فكر الشيخ: أحمد رضوان؟

منهج البحث:

المنهج التحليلي هو الغالب في كتابة البحث، حيث تم تجميع وتحليل أقوال الشيخ في دائرة البحث المقصودة، كما تم استخدام المنهج التاريخي، وذلك حينما تم الرجوع إلى كلام أئمة الصوفية الأوائل، في شتى المسائل الصوفية ذات الصلة بالبحث.

إجراءات البحث:

١- جمع كلام الشيخ من بطون المصادر والمراجع، التي اهتمت بجمع كلامه.

٢- القيام بقراءة متأنية لأقوال الشيخ ليتم جمع حبات لؤلؤها المتناثرة هنا وهناك.

٣- ربط – ما أمكن – من كلام الشيخ بأقوال المستقدمين من مشايخ التصوف.

٤- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وآياتها، وتخريج الأحاديث من مظانها.

٥- القيام بترجمة للأعلام الواردة في البحث.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث – فيما يعلم–على بحث أو دراسة، تناولت كلام الشيخ: أحمد رضوان في مجال إصلاح التصوف– على الرغم من أهميته في العصر الحديث– بالتفصيل والبيان، وبطول نَفَس في استخراج أقواله الإصلاحية من مظانها، وللمرحوم الأستاذ الدكتور/ محمد فؤاد شاكر، كتاب بعنوان: (العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره) طبع في مطبعة العمرانية للأوفست

- الجيزة، سنة١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ومحتويات الكتاب تدور حول ما يلي:

- طواف حول سيرة الشيخ.
- إشراقات الشيخ مع كتاب الله.
- السنة في قلب الشيخ قولا وعملا وسلوكا.
- قطوف من مواعظ الشيخ وكلماته.
- الدعاء عند الشيخ ونفحات من دعائه.
- مختارات من رسائل الشيخ إلى أحبابه.
- شذرات من أشعار المحبين للساحة الرضوانية.

وواضح من سرد هذه المحتويات، أن الكتاب عبارة عن دراسة وصفية عن الشيخ وحياته ومواعظه، بيد أن هذا البحث هو دراسة تحليلية لأقواله، والقيام بعمل كيان ومنطلقات لأفكاره ومواعظه المتعلقة بإصلاح القلوب وإصلاح التصوف بوجه عام.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث وأسئلته ومنهج البحث وإجراءاته والدراسات السابقة وخطته.

التمهيد: ويتضمن نبذة عن حياة الشيخ: أحمد رضوان- سيرة ومسيرة.

المبحث الأول: مفهوم التصوف وارتباطه بالكتاب والسنة في فكر الشيخ: أحمد رضوان.

- **المطلب الأول:** مفهوم التصوف وارتباطه بالكتاب والسنة.
- **المطلب الثاني:** ربط التصوف بالفقه.

المبحث الثاني: الرؤية الإصلاحية للشيخ: أحمد رضوان في قضايا التصوف الكبرى.

- **المطلب الأول:** الشيخ والمريد.
- **المطلب الثاني:** العارف وصفاته.
- **المطلب الثالث:** الولاية والكرامة.
- **المطلب الرابع:**عقيدة وحدة الوجود.

المبحث الثالث: عناية الشيخ: أحمد رضوان بالجانب التربوي والترقي الروحي للمريدين (المقامات والأحول).

- **المطلب الأول:** مقام التوبة.
- **المطلب الثاني:** مقام الخوف.
- **المطلب الثالث:** مقام الرجاء.
- **المطلب الرابع:** مقام الشكر.
- **المطلب الخامس:** مقام التوكل.
- **المطلب السادس:** حال الفناء.
- **المطلب السابع:** حال الجمع وجمع الجمع.

المبحث الرابع: نقد الشيخ: أحمد رضوان بعض مظاهر التصوف المنحرف وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن التصوف.

- **المطلب الأول:** التصوف وترك المعيشة.
- **المطلب الثاني:** رفع التكليف.
- **المطلب الثالث:** الرقص وهز الرؤوس في الذكر، إذا كان عن غير وجد.
- **المطلب الرابع:** الغلو في محبة آل البيت (رضي الله عنهم).
- **المطلب الخامس:** انتقال المريد بين الشيوخ والطرق الصوفية.
- **المطلب السادس:** الجذب.

ثم **الخاتمة:** وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، هو المانُّ به عليّ، المتفضل به على عبده، فالمنة لله والعطاء والإمداد منه، وما كان من خطأ أو نقص- ولا بد أن يكون- فمني، والكمال لله وحده، والنقص من شيمة البشر، وأرجو المعذرة سلفا، فما أردت بهذا البحث إلا وجه الله، وتقربا إليه بتناول كلام الأولياء والصالحين والمصلحين، بالتحليل والبيان، واستخلاص القيم والدروس الملهمة - في عصر طغت فيه الماديات، وكثرت الشهوات، وزادت الشبهات، وازّيَّنت الأرض، ودخل إلى التصوف ما ليس منه، وانتسب إليه ممن ليس من أهله من الأدعياء والدخلاء، الذين لا يكادون يفقهون قولا، ولا يجمعون علما، ولا يتفردون بعمل، ولا يشار إليهم بأنهم على حال- عسى أن ينفع ربي بأقوالهم، ويهدي بأحوالهم، ويصحح ببيانهم، وأن يحشرني معهم، فالمرء مع من أحب، وأرجو أن يجعلنا الله ممن يحيي ذكرى الصالحين، في زمن يكثر فيه من يحيي ذكري الفاسدين.

وأرفع يديَّ إلى السماء، داعيا بدعاء أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام): **(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)**[1]، وبدعاء الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام): **(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)**[2].

الباحث

---

(١) سورة الشعراء: ٨٣.

(٢) سورة يوسف: ١٠١.



نبذة عن حياة الشيخ: أحمد رضوان- سيرة ومسيرة

أولا: التعريف بالشيخ: أحمد رضوان

هو السيد: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن رضوان، ينتهي نسبه إلى الحسن بن سيدنا علي بن أبي طالب، أصل أجداده ينتمون إلى الإمام عبد القادر الجيلاني(١) بالعراق، سكن جده أحمد محمد رضوان، قرية البغدادي بالأقصر، بإذن من رسول الله (ﷺ)، وأقامت الأسرة بالبغدادي حتى الآن، فشرف به المكان وتعطر الزمان.

ولد الشيخ بهذه القرية، والتي تتبع الآن محافظة الأقصر، وكانت سابقا تتبع محافظة قنا، في الثامن والعشرين من ربيع الأول عام ١٣١٣هـ، الموافق السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٨٩٥م(٢).

حفظ القرآن وهو صغير، وقال: لقد نشأت لا أعرف إلا الله ورسوله ولا

---

(١) الإمام عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، الكيلاني الجيلي، ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى الوعظ، وتفقه وسمع الحديث، واشتهر، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد لطالب طريق الحق، ومن مصنفاته: الفتح الرباني، وفتوح الغيب. انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام ٤/ ٤٧، دار العلم للملايين، ط ١٥، سنة ٢٠٠٢م.

(٢) الأستاذ الدكتور/ محمد فؤاد شاكر، العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ٢٢، مطبعة العمرانية للأوفست – الجيزة، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، وانظر: أ. محمود حسين الكتاني، خواطر ومعاني حول الدعاء الرضواني ص١١، بدون بيانات أخرى.

أستطيع أن أجامل أحدا[١]، ومنذ صغره، كانت عبادته دوام الذكر والصلاة على رسول الله (ﷺ)، فكان يصلي على النبي في بدايته سبعة آلاف مرة[٢]، حتى أكرمه الله برؤية صاحب الجناب الشريف (ﷺ)، فقال: (لقد رأيته (ﷺ) وكان سني إحدى عشرة سنة، جالسا على كرسي بين السماء والأرض)[٣].

كان عمله بالزراعة طلبا للرزق، حتى لا يكون عالة على أحد، وكان يعطي النقود لأهل بيته، ويقول هذا من عطاء الله، ولكنه أجراه على يدي[٤]، **ويقول عن حاله وأولاده ليلا:** (وما رأيت أولادي يعصون الله أبدا، وأنا وهم لا نعرف النوم بالليل قط)[٥]، وأشار إلى الأماكن التي يشعر فيها باطمئنان قلبه أثناء السفر إليها قائلا: (وما رأيت بلدا يصلح حال قلبي فيها إذا سافرت إليها، إلا المدينة المنورة أو مكة المكرمة)[٦].

ثانيا: مذهبه الفقهي وطريقته الصوفية.

كان الشيخ: أحمد رضوان (رحمه الله) مالكي المذهب، لكنه درس كتب الأئمة الأربعة، وأفتى على المذاهب كلها، وكلمات الشيخ ومواعظه وطريقته في بيان معاني الآيات القرآنية وشرح الأحاديث النبوية تدل على علوم وفيرة، (**ذَلِكَ**

---

(١) حفيد الشيخ: مصطفى محمد صبري، عباد الرحمن من حديث مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان ص ١١، منتديات دار الإيمان، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) أ. إسماعيل بكري، فيض المنان من كلام سيدي أحمد رضوان ص ٤، ٣، بدون بيانات أخرى.

(٣) عباد الرحمن من حديث مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان ص ١١، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق ص ١٢.

(٥) عباد الرحمن من حديث مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان ص ١٢.

(٦) خواطر ومعاني حول الدعاء الرضواني ص٣٩، مصدر سابق.

فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[١].

وأخذ منهجه في التصوف من الطريقة السمانية عن والده، ثم أخذ الطريقة الأحمدية الإدريسية عن الشيخ: أبي القاسم بحجازة[٢]، ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن العارف بالله الشيخ: عبد الجواد الدومي[٣]، ثم جددها على يد خليفة الشيخ: الدومي العارف بالله الشيخ: محمد الرملي[٤].

ولم تكن الطريقة عند شيخنا سبيلاً للتكسب، ولا وسيلة يسترزق بها كما يفعل أدعياء التصوف، بل كانت منهجاً تربوياً لتربية المريدين، ومسلكاً قويماً للتعريف بما في الإسلام من سماحة وحب ونقاء وخير[٥].

---

(١) سورة الحديد: ٢١.

(٢) الشيخ: محمد أبو القاسم الحجازي، شيخ من مشايخ المنهج الأحمدي الإدريسي، من قرية حجازي قبلي، التابعة لمركز قوص– قنا، كان من العلماء وأهل الصلاح المشهورين، (ت ١٣٥٥هـ). انظر: موقع الطريقة الأحمدية الإدريسية https://m.facebook.com/Tariqat-Al-Ahmadiyah-Al-Idrisiyah

(٣) ولد الشيخ (رحمه الله) عام ١٣٠٠هـ في بلدة أم دومة القريبة من طهطا، التابعة لمحافظة سوهاج، تعلم في الأزهر الشريف، وكان واسع الاطلاع على كثير من التآليف، تلقى العهد على يد الشيخ: عبد الجواد المنسفيسي – شيخ الطريقة الخلوتية وقتئذ، (ت ١٣٦٢هـ). انظر الترجمة مفصلة عند الأستاذ/ عبد المنعم محمد عبد السلام، من نفحات الدومي ص ٢٠، دار غريب – القاهرة – ط٢، بدون تاريخ.

(٤) ولد الشيخ: محمد أحمد الرملي (رحمه الله) بالقاهرة سنة ١٨٩٠م، وأصل أسرته من (رملة العطارة) قرية معروفة من قرى بنها، كان علماً من أعلام الطريقة الخلوتية، قال عنه أستاذه الشيخ الدومي: إن الرملي عند أهل الله –تعالى– كالبخاري عند أهل الحديث، (ت١٣٧٣هـ). انظر: أ. أحمد خليفة محمد، الشيخ: محمد صفوت بدوي، النفحات الشذية في سيرة أقطاب الطريقة الخلوتية ص٨٠، ٨١، مكتبة الآداب – القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٥) د. محمد فؤاد شاكر، العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ٢٣ باختصار يسير، مصدر سابق.

ومن دعائه الذي يدل على حقيقة تصوفه وطريقته: (اللهم سق إليّ من أردت سعادته، وسق إليّ أرزاقهم، ولا تشغلني بهم عنك)[1].

ولم لا؟!، وقد ملأ حب الله قلب الشيخ وملك عليه جوارحه، وعبر عن ذلك بقوله: (والله منذ وجدته ما اشتهيت شيئا سواه، لم أشته غيره، كيف أشتهي غيره؟!!

والله ما لبست ثوبا وشغلني عن الله، ولا قبضت نقودا وشغلتني.

ماذا في الأكوان يشغلني؟!، إنما أنظر فيها بالعبرة، آخذ من المخلوقات ما يوصلني إلى خالقها، فإذا صفت الروح، أستدل به (قل الله)[2].

ومما يدل على غزارة علم الشيخ ودقة فهمه للطائف دقائق الآيات القرآنية وعمق استنتاجاته لمضامينها، أنه زاره يوما – بالبغدادي– الدكتور/ أحمد حسن الباقوري[3] (رحمه الله) رئيس جامعة الأزهر الأسبق، وبعض العُلماء فقال (رحمه الله) للشيخ الباقوري: ما معنى الاستغفار في قوله تعالى: **(فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**[4] ؟، فقال الشيخ: الباقوري (رحمه الله): إنما جئت مستمعا لا متكلما وأسمع من مولانا.

---

(١) خواطر ومعاني حول الدعاء الرضواني ص ٦، مصدر سابق.

(٢) النفحات الربانية من أحاديث وأقوال وتوجيهات مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد محمد رضوان ص ٩٤، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٣٨٩هـ– ١٩٦٩م.

(٣) الدكتور/ أحمد حسن الباقوري (١٩٠٧ – ١٩٨٥م) من مواليد قرية باقور التابعة لمركز أبوتيج بمحافظة أسيوط في مصر. تخرج في الأزهر الشريف، وأصبح من علمائه، كان وزير الأوقاف في ثورة يوليو ١٩٥٢م، ثم وزير الأوقاف في الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٥٩، ثم تقلد منصب رئيس جامعة الأزهر، عام ١٩٦٤م. انظر: أحمد العلاونة، ذيل الأعلام ص ٢٤، حرف الألف، دار المنارة – جدة – السعودية، ط١، سنة ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

(٤) سورة النور:٦٢.

فقال الشيخ إن في جلوس الصحابة في مجلس النبي خيرا كثيرا لا تدانيه عبادة ولا جهاد، لأن في مجلسه ينزل الوحى وفى مغادرة بعضهم للمجلس لبعض شأنه فوات خير كثير لا يُعوض أبدا ولا يُكفر إلا باستغفار النبي (ﷺ) لهم. فقال الشيخ: الباقوري وهو من كِبار العُلماء في العالم الإسلامي: والله إنني لم أسمع هذا الشرح في تاريخي العلمي. فقال الشيخ رضوان: هو من فضل الله، وفضل الله يؤتيه من يشاء من عباده(١).

ومما يدل على فضل الشيخ أيضا: أنه دُعي لحضور مؤتمر علماء المسلمين الذي بدأت جلساته في ٢٩ أبريل سنة ١٩٦٥م، وأعد له المجمع الأعلى للبحوث الإسلامية بالأزهر كل ما يتعلق بالأحوال الاجتماعية والمعاملات ورأي علماء الإسلام في هذه المسائل، وقد ألقى الشيخ كلمة في هذا المؤتمر لقيت استجابة وترحابا من كل وفود علماء المسلمين(٢).

ثالثا: علاقته بالرئيس جمال عبد الناصر(٣).

لما انتشرت دعوة الشيخ وعم فضله وسمع به الناس وسعى إليه كبار القوم، سمع به الرئيس جمال عبد الناصر فسعى إلى لقائه والاستفادة من علمه والدعاء، فسافر السيد حسن عباس زكي – أحد الوزراء المعاصرين– للرئيس، إلي الشيخ، ودعاه إلى زيارة الرئيس، ونشرت تفاصيل اللقاء في مجلة روز

---

(١) النفحات الربانية ص ١٣٩، ١٤٠، مصدر سابق.

(٢) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ٤٨، مصدر سابق.

(٣) الرئيس جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل ابن سلطان عبد الناصر، تـرأس حكـم مصر في الفترة من ١٩٥٦حتى وفاته سنة ١٩٧٠م. ولد في قرية بني مـر، بمحافظـة أسيوط، وانتقل إلى القاهرة وتعلم بها، ثم بالإسكندرية وحصل على (البكالوريـا) سـنة ١٩٣٥م ودخل الكلية الحربية، وتخرج سنة (١٩٣٨) ودرّس بها. وتخرج بكلية أركـان الحرب (٤٢)، وشارك في حرب فلسطين (٤٨)، وانتخب رئيـسا للجمهوريـة (٥٦). انظر الأعلام ٢/ ١٣٤، مصدر سابق.

اليوسف في العدد ٣٤٢٧ من شهر فبراير سنة ١٩٤٨م(١).

ولقد كان منهج الشيخ الأدب مع الحكام، لقوله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)**(٢)، وقال: (إن الواجب إكبارهم، لأنهم يقومون على أمر الناس، ويحفظون الأمن والحقوق، ويردون المظالم، فيجب على المؤمن، الاستئذان عند الدخول عليهم، والخروج من عندهم، والكلام معهم بأدب وإيجاز، لعدم إضاعة وقتهم، فإن الشريعة تحضنا على تكريم الحكام، والإمام الشعراني (رحمه الله)(٣)، ...

كان يكرمهم(٤)، كما يجب أن يطيع أمرهم ما داموا على الحق، وأن يدعو لهم،

---

(١) انظر العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان ص ٣١، ٣٢، ويقول عبد الله صالح رضوان – حفيد الشيخ (إن الشيخ قرر بناء مسجد بجوار ساحته عرف باسم الزعيم جمال عبد الناصر، وبالفعل بدأ البناء في المسجد وتم افتتاحه في يوم الجمعة الموافق ١٧ شعبان عام ١٣٨٥هجرية وسنة ١٩٦٥ ميلادية، في حضور المهندس أحمد عبده الشرباصي نيابة عن رئيس الجمهورية، وبعدها كان الشيخ: أحمد رضوان يريد توسعة الساحة عندما ضاقت مساحتها على المريدين والمحبين والمترددين عليها، فتولت وزارة الأوقاف بتعليمات من الرئيس عبد الناصر، أعمال توسعة الساحة والتي عرفت منطقتها الآن باسمها، كذلك قرر الرئيس عبد الناصر إنشاء محطة انتظار قطار سميت بمحطة الرضوانية، تكريماً للعارف بالله ولأهالي منطقته). انظر مقال (سر الشيخ: رضوان في حياة جمال عبد الناصر)، بوابة مجلة روز اليوسف – تاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٨م.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي أحمد بن محمد بن ذوقا، ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية (رضي الله عنه)، الشيخ العالم العارف الشعراني، نسبة إلى قرية أبي شعرة، المصري الشافعي الصوفي، كان (رحمه الله) من آيات الله تعالى في العلم، والتصوف والتأليف، له طبقات الأولياء، والعهود والسنن، وغير ذلك، (ت ٩٧٣هـ). انظر: نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ٣/ ١٥٧، ١٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، المحقق: خليل المنصور.

(٤) النفحات الربانية ص ١١٧، مصدر سابق.

لأن الحاكم سلطان في الأرض، فإذا تعطل خبثت النفوس، وكثرت الفتن، وضاعت المصالح)[1].

رابعا: تكريم الأزهر له

الشيخ: أحمد رضوان كان ولا يزال يحظى بمكانة عالية لدى علماء الدين والساسة والمفكرين، فقد أقامت جامعة الأزهر حفل تكريم فاخر له، بمناسبة زيارته للقاهرة، ودعت الجامعة إلى هذا الحفل صفوة مختارة من الوزراء، وكبار ضباط الجيش والبوليس، وكبار الموظفين، والعلماء، وهيئات التدريس بالجامعات والمثقفين، وغيرهم ممن ينتسبون نسبا إلى التصوف الحر الطاهر، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان ١٣٨٤ هجرية، جلس على المائدة الرئيسية الشيخ المكرم: «أحمد رضوان»، وعن يمينه شيخ الأزهر، وعن شماله وزير الأوقاف وأمامه الشيخ: أحمد حسن الباقوري[2] رئيس جامعة الأزهر- وقتها- وصاحب الدعوة إلى الحفل.

ومن كلمته يومئذ والتي أملاها للأستاذ: عبد الرحمن أبو العيون، وكيل وزارة الخزانة، وألقاها نيابة عنه.

الحمد لله الذي جعل في مصر (جامعة الأزهر) وجعلها مشرقا للنور والهدى لجميع المسلمين، وجعل على رأسها عالما صالحا، وعبدا مباركا، وشيخا يرجو ربه، ويسير إليه، ويعمل للنهوض بهذه الجامعة، والتي جعل الله فيها الخير والبركة وجعل في أساتذتها وطلابها كذلك البركة، والنفع للمسلمين إن شاء الله، وإني أوجه الشكر لفضيلة الشيخ الأستاذ: أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر، على هذه الدعوة التي أتاحت لي أن أتشرف بالاجتماع

---

(١) النفحات الربانية، ص ٢١٧.

(٢) سبقت ترجمته.

بالعلماء-حفظة الدين، وحراس الإسلام، وخصوصا شيخنا شيخ الأزهر: فضيلة الشيخ: حسن مأمون [١].

خامسا: مرضه ووفاته

عندما اشتد المرض على الشيخ: أحمد رضوان، أرسل الرئيس جمال عبد الناصر طائرته الخاصة، لنقل الشيخ إلى القاهرة للعلاج في المستشفى العسكري، وصحبه في هذه الرحلة فريد باشا زعلوك[٢]، وكانت رغبة الشيخ ألا يذهب إلى المستشفى، لكن الطيار «سعد الدين الشريف» أصر على ذهاب الشيخ إلى المستشفى العسكري تنفيذا لأوامر الرئيس. وكان فريد باشا يريد أن يقيم الشيخ في بيته، لكن الطيار والمرافقين للشيخ رفضوا، فاقترح فريد باشا أن ينزل الشيخ عنده في بيته للراحة ثم بعد ذلك يذهب إلى المستشفى، فوافقوا، ولما

---

(١) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ٤٤، مصدر سابق، وانظر بوابة اليوم السابع- يوم الخميس بتاريخ ٦ نوفمبر ٢٠٠٨م، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ: حسن مأمون، من مواليد عام ١٨٩٤ بحي الخليفة بالقاهرة، وظل يعمل في مناصب القضاء بمصر والسودان خمسة وأربعين عاما، وفي عام ١٩٥٥م عين مفتيا للديار المصرية خلفا لصاحب الفضيلة الشيخ: حسنين مخلوف، ثم صدر قرار جمهوري في شهر صفر ١٣٨٤هـ يوليو ١٩٦٤م بتعيينه شيخا للأزهر، ويعتبر فضيلته الشيخ: التاسع والثلاثين في تعداد شيوخ الأزهر، (ت ١٩٧٣م). انظر: د. محمد عبد المنعم خفاجي، الأزهر في ألف عام ١/ ٣٤٨، ٣٤٩، عالم الكتب – بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

(٢) هو الأستاذ محمد فريد زعلوك باشا، وزير التجارة والصناعة في وزارة أحمد نجيب الهلالي باشا، وهى آخر وزارة ملكية، وكان قبلها وزير دولة للدعاية.انظر مقال بعنوان الأستاذ أحمد نجيب الهلالي،

https://www.marefa.org

دخل الشيخ بيت فريد باشا زعلوك بمصر الجديدة، رفض الذهاب إلى المستشفى، وظل يعالج في البيت، وكانت الحاجة زينب شقيقة فريد باشا هي التي تقوم على تمريضه والعناية به، وتقديم الطعام له، وانتقل في هذه الفترة مجلس الشيخ الذى كان يحضره الشيوخ «عبد الحليم محمود(١)، والشرباصي(٢)، والباقوري(٣)، وأبو العيون(٤)» بالإضافة إلى كوكبة من علماء الأزهر وغيرهم إلى بيت آل زعلوك، حتى انتقل الشيخ: أحمد رضوان إلى جوار ربه في العاشر من يونيو سنة ١٩٦٧م، وقد أمر القصر الجمهوري بتغسيله وتجهيزه

---

(١) فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، ولد في مدينة (أبو حمد) تابعة لبلبيس شرقية سنة ١٩١٠ م، وكان (رحمه الله) عالما إسلاميا كبيرا، فسيح الآفاق، بعيد الأغوار، متصوفا زاهدا، وجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، بدأ مدرسا بكلية اللغة، ثم نقل أستاذا بكلية أصول الدين سنة ١٩٥١م، فعميدا للكلية سنة ١٩٦٤، وفي سنة ١٩٧٠م صدر قرار بتعيينه وكيلا للأزهر، ثم تولى وزارة الأوقاف، وأخيرا مشيخة الأزهر سنة ١٩٧٣م، وظل فيها حتى وفاته سنة ١٩٧٨م. انظر: الأزهر في ألف عام ٣٩٣/٢ وما بعدها، مصدر سابق.

(٢) الوزير/ أحمد عبده الشرباصي، تخرج في كلية الهندسة، واستدعته حكومة الثورة سنة ١٩٥٣م، ليكون وزيرا للأشغال، فأسهم في مشروعات الري والصرف الزراعي، وشارك في دراسة السد العالي، ثم اختارته الثورة عضواً في مجلس الرئاسة، ثم نائباً لرئيس الوزراء لشؤون الأزهر والأوقاف، ووزيراً للأوقاف، (ت ١٩٨٤م). انظر: محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، تكملة معجم المؤلفين –وَفيات (١٣٩٧ – ١٤١٥هـ) = (١٩٧٧ – ١٩٩٥م) ص ٥٢، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) لم يقف الباحث على تاريخ وفاته أو ترجمة له، سوى أنه كان وكيلا لوزارة الخزانة في هذه الفترة.

وتكفينه والصلاة عليه في القاهرة، في مشهد مهيب، وأذن القصر بإعداد عربة مكيفة من الدرجة الأولى لنقل المعزين من القاهرة إلى الأقصر بالسكة الحديد، وذلك لتوقف حركة الطيران بعد الاعتداء الإسرائيلي في الخامس من يونيو ١٩٦٧م، وفي الأقصر تمت الصلاة عليه مرة أخرى، ودفن في مقامه بمسجد ساحته بالبغدادي، جنوب محافظة الأقصر[(١)].

وقد أوصى أهله بقوله: (عاهدت أولادي إذا جاءني الموت، وخصوصا زوجتي، ألا يتخذوني شيخا، وألا يبنوا تابوتا، وألا يذبحوا ذبائح لي)[(٢)].

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن الشيخ ولد في الأقصر – جنوب مصر، وساحته بها، وقبره فيها، وكان على علاقة وثيقة بالرئيس جمال عبد الناصر، حيث التقى بالشيخ غير مرة، وتم تكريم الشيخ من الأزهر الشريف، وكان على علم غزير، وله منهج فريد في تربية المريدين، وعمل بالزراعة حتى لا يكون عالة على أحد، ومن أحب الأماكن إلى قلبه والتي ينشرح صدره أثناء السفر إليها، مكة والمدينة – صلى الله وسلم على ساكنها.

---

(١) مقال (سر الشيخ: رضوان في حياة جمال عبد الناصر)، بوابة مجلة روز اليوسف، تاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٨م.

(٢) النفحات الربانية في أقوال وتوجيهات الشيخ: أحمد رضوان ص ٣٢، مصدر سابق.

المبحث الأول

مفهوم التصوف وارتباطه بالكتاب والسنة في فكر الشيخ: أحمد رضوان

المطلب الأول

مفهوم التصوف وارتباطه بالكتاب والسنة

للتصوف تعريفات كثيرة، سواء نابعة من داخل حقل الصوفية أو من خارجه، من المحبين لهم أو من الشانئين عليهم، وكلٌّ عبَّر عن مشربه، وما ارتآه، وبحسب فهمه وما وصل إليه من علم أو مقام أو حال، فمنهم من عرفه بحسب البدايات، ومنهم من عرفه بحسب النهايات، ومنهم من عرفه من جهة ثمرته ومواهبه، ومنهم من عرفه من خلال التجربة، ومنهم من عرفه من جهة السلوك، ومنهم من عرفه كعلم، ومنهم من عرفه كمذهب، ومنهم من عرفه كخلُق، ومنهم من عرفه من جهة الأذواق والوجدان، ولكلٍّ وجهة هو موليها، وقال الشيخ: أحمد زروق[(1)]: (قد حُد التصوف، ورُسم، وفُسر بوجوه تبلغ نحو

---

(١) إسماعيل بن أحمد بن عيسى البرنسي المغربي الفاسي المالكي، المعروف بابن زرّوق، الإمام العلّامة الصّوفي، برع في معرفة الفقه والتصوف والأصول والخلاف، وأخذ التصوف عن القوري وغيره، وارتحل إلى مصر، وأقام بالقاهرة نحو سنة، وأخذ الحديث عن السّخاوي، ثم غلب عليه التصوف، فكتب على الحكم نيفا وثلاثين شرحا، (ت ٨٩٩هـ). انظر: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٩/ ٥٤٧، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط ١ سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، حققه: محمود الأرناؤوط.

الألفين)[١].

بيد أن الشيخ: أحمد رضوان اختصر التعاريف كلها للتصوف مضمونا وسلوكا، ومنهجا وطريقا، وثمرة وغاية وتجربة، وذلك في الرسالة التي أرسل بها إلى د. أحمد الباقوري (رحمه الله)[٢]، حيث ذكر خلالها تعريف التصوف بأنه: (علم يأخذ بالأرواح إلى حضرة الأنس بالله، وهو طريق الأنبياء والسالكين، وهو اللذة التي يشاهدها أهل حضرته في هذه الدار)[٣].

وهذا التعريف الذي ذكره الشيخ للتصوف، من حيث إن التصوف طريق يسلكه المريدون، يتعلمون من خلاله كيف يهذبون نفوسهم، ويجاهدون أهواءهم، حتى يصلوا إلى معرفة الله والتلذذ بطاعته، لأن الأعمال الشرعية، إما أعمال جوارح أو أعمال قلوب، إما أعمال تخص الظاهر وإما أعمال تخص الباطن، فأطلق الشيخ على التصوف بأنه علم، لأنه يختص بإصلاح الباطن وبمقام الإحسان الذي هو الجزء الأسمى من الدين، (فالأحكام الشرعية الفرعية المتصلة بأعمال القلب أُفرد لها علم خاص عرف باسم التصوف أو الأخلاق)[٤].

وقول الشيخ بأن التصوف: طريق الأنبياء والمرسلين، ليس فيه أدنى مغالاة

---

(١) الشيخ: أحمد البرنسي المشهور بـــ زروق، قواعد التصوف ص ١٣ قاعدة رقم ٢، دار البيروتي سوريا – دمشق ط١ سنة ١٤٢٤هــ– ٢٠٠٤م، ضبطه وعلق عليه/ محمـــود بيروتي.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) د. محمد فؤاد شاكر، العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياتـــه وآثـــاره ص ١٦٤، مصدر سابق.

(٤) الإمام: يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي، الأنوار لأعمال الأبرار ١/ ٧، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر، تحقيق/ محمد السيد عثمان.

أو بُعد عن الصواب ومجانبة له، لأن الأنبياء والمرسلين- عليهم الصلاة والسلام، جاءوا بتزكية النفوس وتطهيرها من الأدران والخبائث، والوصول في الترقي إلى مقام الإحسان، وهو أعلى درجة في الأديان.

كما أن الهدف الجوهري من كلمة التوحيد التي جاء بها جميع الأنبياء والرسل، والتي من أجلها أنزلت الكتب، هو عدم تعلق القلوب بغير ربها، و تخليص المرء قلبه من شوائب عبادة سواه، من مال أو جاه أو زوجة أو ولد، حتى نفسه التي بين جنبيه.

وإلى ذلك يشير الشيخ: أحمد زروق[(١)] بقوله: (قد صح أن شرف الشيء بشرف متعلقه، ولا أشرف من متعلق علم التصوف، لأن مبدأه خشية الله، التي هي نتيجة معرفته، ومقدمة اتباع أمره، وغايته إفراد القلب له تعالى، فلذلك قال الجنيد [(٢)]: لو علمت أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه)[(٣)].

ومقصود الشيخ عن التصوف بأنه اللذة التي يشاهدها أهل حضرته في هذا الدار، هو الإشارة إلى أن تطهير النفس من الرذائل، وتنقيتها من الأدران،

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الجنيد ابن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، والده الخزاز، هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وتفقه على أبي ثور، وسمع من: السري السقطي، وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضا: الحارث المحاسبي، وأبا حمزة البغدادي. وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله، وتعبد، ونطق بالحكمة، وقل ما روى، (ت ٢٩٨هـ). انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤٣/١١، دار الحديث- القاهرة، سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٣) قواعد التصوف ص ٢٤، قاعدة رقم ١٤مصدر سابق.

وتحليتها بجميل الصفات ومكارم الأخلاق، يوصل إلى الجنة التي يدخلها العارفون في هذه الدنيا قبل الآخرة، وإلى لذة الطاعة التي يشعرون بها.

فإن لذة القلب وفرحه وشعوره بالسعادة والطمأنينة والسكينة، بقدر قربه من مولاه، وافتقاره إلى رضاه، وسعي قلبه إليه، ودخول الأحزان والمنغصات والكدورات والقلق والاضطراب على القلب، بقدر بُعده واقترافه المعاصي والسيئات.

ولهذا قال أبو العباس بن مسروق[١]: (فمن كان سروره بغير الحق، فسروره يورث الهموم، ومن لم يكن أنسه في خدمة ربه، فأنسه يورث الوحشة)[٢].

وقال النساج[٣]: (يخرج أكثر أهل الدنيا من الدنيا، ولم يذوقوا طيباتها المقصودة، قيل وما هي: قال: سرور المعرفة، وحلاوة المنة، ولذائذ القربة،

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي. سكن بغداد، وصحب الحارث المحاسبي وسريا السقطي، مات ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين. وقيل سنة ثمان، انظر: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، طبقات الأولياء ص ٨٩، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط ٢، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: نور الدين شريبة.

(٢) الإمام أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، كشف المحجوب ص ١٢٨، ترجمة الشيخ: محمود أحمد ماضي أبو العزايم، إصدار جمعية أولي العزم الدينية، سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٣) خير بن عبد الله النساج، أبو الحسن. من "سر من رأى"، ونزل بغداد، وصحب أبا حمزة البغدادى، وصحب الجنيد، وابن عطاء، وكان أستاذ الجماعة، (٣٢٢هـ). انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء ص ١٩٦، مصدر سابق.

وأنس المحبة)[1].

ولعل ما يجمع ذلك كله، حديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)[2]، وما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ (عز وجل)، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ)[3].

التعريف الآخر للتصوف لدى الشيخ

للشيخ تعريف آخر للتصوف بأنه: (الغيبة عن الأكوان، والحضور مع الرحمن، والاقتداء بخير الأنام)[4]، **وليس** المراد بالغيبة عن الأكوان: ترك الدنيا وما أحل الله فيها، والعيش معيشة المجاذيب والبله، وإنما هي ثلاثة عناصر متكاملة للتصوف، متلازمة للتعرف على حقيقته، لا بد من ضم بعضها إلى بعض، غيبة، وحضور، واقتداء.

غيبة عن جميع ما يشغلك عن الله، وحضور بالله، فلا تسير في هذه الدنيا إلا

---

(١) الشيخ: أحمد الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله ص ١٤، دار جوامع الكلم – القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ١/ ٦٢، برقم ٥٦، دار إحياء التراث العربي – بيروت، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١٣/١، رقم ١٢، دار طوق النجاة ط١ سنة ١٤٢٢هـ –

المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

(٤) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١٤٠، مصدر سابق.

على مراد الله، وتكون في جميع أفعالك مقتديا برسول الله (ﷺ).

هذا هو لب التصوف الحقيقي، وقطب رحاه، ولحم سداه، فالتصوف هو(العمل بالكتاب والسنة، والاقتداء بالنبي (ﷺ))[1]، وفي هذا إشارة من الشيخ إلى الخارجين عن الشريعة من الصوفية، بأنهم خارجون أيضا من التصوف، بعيدون عن جوهر حقيقته، لأن(الصوفية قوم بنوا أمرهم على الكتاب والسنة، وهم يعظمون الرسول ظاهرا وباطنا)[2].

وبهذا فرق الشيخ بين الصوفي الحقيقي والزائف، ونصب ميزانا عادلا لمعرفة كل منهما، ووضح بجلاء أدوات الحكم عليهما، لئلا ينخدع أحد بأفعال أدعياء التصوف، ويقول عن ذلك أيضا: (الصوفي الحقيقي هو الذي يعرف سر القرآن وحقيقة العبودية، وحقيقة السير إلى الله والوصول إليه، وهو لا يخالف الكتاب ولا السنة في قوله وفعله وحاله، فهو الذي يؤخذ عنه، وتشد الرحال إليه، فإن في كتاب الله وسنة رسوله، غنيمة للطالبين، وشفاء من كل داء)[3].

ومن هذا يتضح مبنى التصوف وأساسه في نظر الشيخ، فأصوله: الكتاب والسنة، وأساسه: الاتباع والاقتداء بالنبي (ﷺ).

فالصوفي رجل متبع لا مبتدع، حيث لا طريق مثلى إلى الله، ولا أهدى ولا أرشد، إلا طريق رسول الله (ﷺ)، واتخاذه دليلا وقدوة وهاديا ومرشدا، فهو

---

(١) النفحات الربانية من أحاديث وأقوال وتوجيهات العارف بالله الشيخ: أحمد محمد رضوان ص ١٨٩، مصدر سابق.

(٢) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١٤٠، ١٤١، باختصار كبير، مصدر سابق.

(٣) النفحات الربانية من أحاديث وأقوال وتوجيهات العارف بالله الشيخ: أحمد محمد رضوان، ص ٥٠، مصدر سابق.

أكمل الأمة دينا، وأتمها خشية، وأكثرها إنابة وتقوى، ومن اعتقد أنه من الممكن أن يصل إلى الله من باب آخر، وطريق أخرى، فهو يجهل قدر الرسول (ﷺ)، ولن يصل إلى نهاية الطريق الصحيحة، وإن ادعى الوصول، وأظهر الخشوع، لأن نهايته خزي وضلال، واتباع للهوى والشيطان.

ولهذا يرد الشيخ على من ادعى بأن الحقيقة، أو الطريقة ربما تخالف الشريعة، فيوضح التلازم والاقتران بين الشريعة والحقيقة والطريقة، ويسمو بوظيفة الطرق قائلا: (الشريعة تقول لك: اعمل، والحقيقة تقول لك: أخلص، والطريقة تقول لك: اتبع.

والاتباع يكون للنبي (ﷺ) في الإسلام والإيمان والإحسان)[١].

ومن أقوال الشيخ التي تدل على حرصه في عدم خروج الطرق الصوفية عن السنة قوله: (الطريق إلى الله حبه، وطاعته، والعمل بكتابه، ومتابعة رسول الله (ﷺ) في العمل والقول والحال)[٢].

وتفسير الشيخ للتصوف بأنه اتباع للرسول (ﷺ)، وعدم الخروج عن الشريعة، هو نفس ما كان عليه أكابر الصوفية من المشايخ الأولين، الذين وضعوا قواعد التصوف الحقيقي وحدوده، وأقوالهم في ذلك أكثر من تحصى، وأوسع من أن تعد، ونذكر أمثلة على ذلك مما وورد عن بعض أكابرهم، مثل قول السري السقطي[٣]: (المتصوف اسم لثلاثة معان: هو الذي لا يطفئ نور

---

(١) النفحات الربانية ص٢١٩، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٩.

(٣) سري بن الْمُغلس السَّقطِي، كنيته أَبُو الْحسن، وَهُوَ أول من تكلم بِبَغْدَاد فِي لِسَان التَّوْحِيد وحقائق الْأَحْوَال، وَهُوَ إِمَام البغداديين وشيخهم فِي وقته، (ت٢٥١هـ). انظر: الإمـــام محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الـــرحمن السلمي، طبقات الصوفية ص ٥٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ سنة ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا.

معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله)[١].

وقال الجنيد[٢] إمام الطائفة في القرن الثالث الهجري: (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة)[٣]، وقال النصر أباذي[٤]: (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع)[٥].

وهذا هو أبو علي الجوزجاني[٦] سأله بعض أصحابه، كيف الطريق إلى الله؟ فقال: (الطرق إليه كثيرة، وأصح الطرق وأعمرها وأبعدها عن الشبه، اتباع السنة قولا وفعلا وعزما وعقدا ونية)[٧]، وقال السهروردي[٨]: (الصوفية

---

(١) الإمام عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية ص ٢٨، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، وضع حواشيه: خليل المنصور، وعزاه الإمام زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، إلى بشر الحافي، في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١ / ٥٦٤ حرف الباء، تحقيق/ محمد أديب الجادر، دار صادر بيروت – لبنان، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ٥٧١، حرف الجيم، مصدر سابق.

(٤) إبراهيم بن محمد النصر أباذى، نسبة إلى نصر أباذ، محلة من محال نيسابور، أبو القاسم، شيخ نيسابور، والمحدث المؤرخ، وهو أستاذ أبى عبد الرحمن السلمى، (ت٣٦٧هـ). انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء ص ٢٦، مصدر سابق.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٨٦ ـ مصدر سابق.

(٦) اسمه الحسن بن علي، من كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة، تكلم في علوم الآفات والرياضات والمجاهدات. انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ١٩٦، مصدر سابق.

(٧) السلمي، طبقات الصوفية ص ١٩٧، مصدر سابق.

(٨) هو الإمام عمر بن محمد بن عمويه السهروردى – بضم السين – نسبة إلى سهرورد،=

أوفر الناس حظا من الاقتداء برسول الله (ﷺ)، وأحقهم بإحياء سنته) [١].

ومثل ذلك كثير مروي عن الأئمة الكبار، مثل الإمام أبي الحسن الشاذلي[٢]– كما في الدرة[٣]، و الإمام عبد القادر الجيلاني[٤]، والشيخ: أحمد الرفاعي[٥]، ...

=بليدة عند زنجان، من عراق العجم، أبو عبد الله. أحد السادات، الجامع بين الحقيقة والشريعة، والورع والرياضة والتسليك، وله تواليف حسنة، منها "عوارف المعارف"، وأملى في الرد على الفلاسفة، (ت٦٣٢هـ). انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء ص٢٦٢، مصدر سابق.

(١) الإمام شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي، عوارف المعارف ٥٦/٢، تحقيق د. عبد الحليم محمود – د. محمود بن الشريف، دار المعارف، بدون رقم طبعة وتاريخ،

(٢) هو الإمام على بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الشاذلي، نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقيا، الضرير الزاهد، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، ومن أصحابه الشيخ: أبو العباس المرسي، مات بصحراء عيذاب، فدفن هناك، سنة (٦٥٦هـ). انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء ص ٤٥٨، ٤٥٩ مصدر سابق.

(٣) الشيخ: الحميري المعروف بابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبي الحسن الشاذلي ص ١١٢، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٤) سبقت ترجمته، ومن أقواله: (لا يقبل قول بلا عمل، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة)، انظر كتابه: الفتح الرباني والفيض الرحماني ص ١٦، دار الألباب – بيروت – دمشق، خرج أحاديثه وآياته: محمد سالم البواب.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن أبى الحسن على، الرفاعي، أستاذ الطائفة المشهورة، كان أوحد وقته حالا وصلاحاً، (ت٥٧٨هـ). انظر ترجمته في طبقات الأولياء ص ٩٣، مصدر سابق، وقال عن القرآن: (عنه تأخذ أرواح العارفين أسرار المعرفة، وأما المعرفة التي لم ترجع إليه فما هي إلا زور وضلالة) انظر: كتابه: حالة أهل الحقيقة مع الله ص ١٢١، مصدر سابق.

...والشيخ: إبراهيم الدسوقي[١]، وواضع أصول الطريقة النقشبندية[٢]، وأضرابهم من مشايخ الصوفية، الذين بينوا أن مذهبهم مبني في أصوله وفروعه، على الكتاب والسنة، ولا يخرج عنهما قيد أنملة، وفي هذا رد قاطع منهم، ومن الشيخ، على بعض الصوفية الجهلاء الذين أدخلوا بعض البدع في التصوف، وبيان أنها ليست من التصوف الصحيح، ما دامت تلك الأقوال أو الأعمال أو الأحوال ليست من الوحي الصحيح، ورد كذلك على من يقول ببدعية مذهب التصوف وبعدم وجود أصول شرعية له، بادعائهم أن أصوله مسيحية أو خلاف ذلك، فإن إنكار حقيقة التصوف، رد لما جاء به رسول الله (ﷺ).

---

(١) هو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد، يتصل نسبه بالحسين السبط: من أهل دسوق (بغربية مصر)، تفقه على مذهب الشافعيّ في أوليته، ثم اقتفى آثار الصوفية وكثر مريدوه، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٥٩، مصدر سابق، وانظر حول كلامه عن الاتباع كتابه:الجواهر المضيئة، ص ٣٩، مكتبة الرفاعي ط١٠، سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق إبراهيم الرفاعي، وكتاب الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٢/ ٣٢٢، حرف الهمزة، مصدر سابق.

(٢) انظر قوله في (قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، التشرف بذكر أهل التصوف ص ٢٩)، دار المشاريع للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١ سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

المطلب الثاني
ربط التصوف بالفقه

لمشايخ الصوفية وقفات مع علماء الفقه ومسائله، ربما يصلح جمعها والتعليق عليها، لأن يكتب فيها رسالة علمية ضخمة، فلقد ذكر المناوي[١] مثلا في الأصل الثامن والعشرين من أصول علم التصوف، بأن نظر الصوفي في المعاملات أخص من نظر الفقيه، إذ الفقيه يعتبر ما يسقط به الحرج، والصوفي ينظر فيما يحصل به الكمال، ومن نظرِ الأولى فإنه يعتبر ما يصح به الاعتقاد، والصوفي فيما يقوى به اليقين[٢].

وعلى نفس الخطى يرسم الشيخ: أحمد رضوان (رحمه الله) فرقا بين الصوفية والفقهاء من جهة كلام كل منهما، فيرى أن الفقهاء يجمعون كلامهم وآراءهم واستدلالاتهم، بينما الصوفية يكون كلامهم بلا تجميع سابق، لأنه من فيض الله على قلب العارف، الذي قرأ كتبا كثيرة، ووعى عقله علوما وفيرة، فأهل الله لا يتكلمون بتجميع كلام في النفس، ولكن بما ينقدح في قلوبهم من معاني، وبما يلوح في نفوسهم من فهوم، تصب عليهم من مشكاة العلي الأعلى صبا، فإن

---

(١) الإمام محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه، له نحو ثمانين مصنفا، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١هـ. انظر الأعلام ٦/ ٢٠٤، مصدر سابق.

(٢) الإمام زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبقات الصغرى – إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن ٤/ ٥١، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر – بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.

المحل إذا صفا مُلئ بجواهر الكلام وفرائد الحِكم، مما لا يخطر على قلب بشر.

يقول عن ذلك: (الفرق بينهما (الصوفية وعلماء الظاهر)، هو أن الصوفية لا يجمعون كلاماً، وإنما يتكلمون من فيض الله على حسب المناسبات، لأنه (ﷻ) رحيم بهم، يخرجهم من التجلي الجلالي إلى الطمأنينة، فلا يجمعون كلاماً بين يديه، فإذا رفع عنهم التجلي الجلالي نطقوا بما ثبت في قلوبهم على مقتضى الكتاب والسنة، وهكذا كان حال النبي (ﷺ) وكذلك حال عباد الله الصالحين، لا يجمعون قولاً من كتاب ولا ينمقون المقالات، بل تلقى عليهم من محض فضل الله، فهم حاضرون مع الله لا يغيبون عنه، فإذا فتح لهم من فيض علمه نطقوا به)[1].

وقد أشار بعض الصوفية إلى ذلك كالشيخ الأكبر ابن عربي [2] حين قال عن ترتيب كتابه الشهير-الفتوحات المكية: (اعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار، ولا عن نظر فكري، وإنما الملك يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره) [3].

كما يتحدث الشيخ: أحمد رضوان (رحمه الله) عن نفسه، وأنه لا يجمع كلاما

(١) النفحات الربانية ص ٢٣٨، باختصار، مصدر سابق.

(٢) الملقب بالشيخ الأكبر: محمد بن على بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي، طاف البلاد وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدا، وله مصنفات أخري كثيرة جدا، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتمال، وبه احتفال، وكان فاضلا في علم التصوف، (ت ٦٣٨هـ). انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦، دار الفكر، سنة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٦م، بدون رقم طبعة.

(٣) د. يوسف زيدان، ابن عربي، الجيلي، شرح مشكلات الفتوحات المكية ص ١٨، دار الأمين – القاهرة ط١ سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

ليقوله بين يدي مريديه، فقال مرة: (والله أنا ما قصدت هذا الكلام، ولكن الذي أنطقني به هو الله جل شأنه، لأن تجميع الكلام نقص في السير إلى الله، فنحن كما يقول الصوفية نتكلم به فيه له[1]، فإن الصوفية لا يتكلمون لشهوة الكلام والظهور، وحب اجتماع القلوب على السماع لهم، فما العبد إلا آنية من أواني الحق جل شأنه فارغة من السوى، مفتقرة إلى ربها، واقفة ببابه . فإذا أراد لها الكلام حركها بيده، و أنطقها بما ينزله عليها من ماء التجلي وفيوضات الأسماء)[2].

ولا يُفهم من كلام الشيخ أن الصوفية قوم لا يقرؤون في كتب العلم الشرعي ليقوموا بواجب نشر العلم بين المريدين، كيف وقد كان فيهم علماء الفقه والحديث والتفسير والأصول وغير ذلك؟!! ولكن كلامهم مع المريدين بحسب ما يفتح الله – تعالى – به عليهم في مجالسهم من أسرار العلوم.

كما لا يجب أن يُفهم أن الشيخ يُنقص من قيمة الفقهاء ومن قدرهم، أو يزدريهم، أو أنه ضد الفقه والفهم في دين الله، فهو يعي (أن الفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على أحكام الله –تعالى– و حقوقه)[3].

ولهذا فإنه (رحمه الله) دعا بكل وضوح إلى التعلم والتفقه في الدين، وقال:

---

(١) وذكر الشيخ: أحمد الرفاعي أن كلامهم يدور حول خمسة أوجه: به، وله، ومنه، وإليه، وعليه، و ليس في كلامهم: أنا، وإني، ونحن، ولي، وبي، لأن ألفاظهم فردانية، وحركاتهم صمدانية، وأخلاقهم ربانية وإرادتهم وحدانية، لا يعرف إشارتهم إلا من له قلب حريق، فيه خزائن الأسرار، وجواهر القدُس، وسرادقات النور، وأودية الشوق، ورياض الأنس. انظر: حالة أهل الحقيقة مع الله ص ٤٢ باختصار يسير، مصدر سابق..

(٢) النفحات الربانية ص١٩ باختصار، مصدر سابق.

(٣) قواعد التصوف ص ٣٣، قاعدة رقم ٣٠، مصدر سابق.

(عليك بمجالسة العلماء، فإنهم يدلونك على ما يشفي قلبك**)**[١]، وعد **(**من لم يهاجر في طلبه آثما**)**[٢].

ويرى أهمية التفقه في الدين لسُلاَّك طريق التصوف، وإلا وقع المريد صيدا ثمينا للشيطان، يُلبِّس عليه أمور دينه، ويضيع عليه أجر عمله، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، يقول (رحمه الله): **(**لا بد من الفقه، ولا يصح إعطاء الطريق لجاهل، وإلا صاده الشيطان، وأظلم عليه الطريق**)**[٣].

وهو من المقرنين بين العلم والعمل، الذين يرون ضرورة تلازمهما وأهمية اقترانهما، يقول: (ليس العلم موصلا إليه من غير عمل**)**[٤]، وقال: **(**العبرة بالعلم أن يسوقك إلى أن تقوم له، وكل علم لا يقربك إليه فهو وبال عليك، والعمل عنوان العلم**)**[٥].

ولا يوجد من الصوفية المتحققين من ثبت عنه بالإسناد الصحيح، أيّ أقوال ضد التعلم أو ترفض التفقه في دين الله، لأن الجنيد[٦] إمام الطائفة قال: (طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يقتدى به**)**[٧]، ...

---

(١) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١٣٠، مصدر سابق.

(٢) النفحات الربانية ص٢٨٦بتقديم وتأخير في العبارة، مصدر سابق.

(٣) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١١٧، مصدر سابق.

(٤) خواطر ومعاني حول الدعاء الرضواني ص ١٨، مصدر سابق.

(٥) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان –حياته وآثاره ص ١٣٨، مصدر سابق.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) الإمام تقي الدين عبد الرحمن ابن عبد المحسن الواسطي، ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين ٩/٢، المطبعة المصرية سنة ١٣٠٤هـ.

...وقال الشعراني[١]: (ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه، على عكس ما عليه المتصوفة، الذي لاحت لهم بارقة الطريق، فمنعوا مطالعتها، وقالوا: إنها حجاب جهلا منهم)[٢].

وأي روايات أخرى ظاهرها خلاف ذلك، كالتي أوردها ابن الجوزي[٣] مثلا، على لسان بعض الصوفية في كتابه تلبيس إبليس[٤]، فإن المقصود بها ذم علماء الدين الآكلين بعلومهم الدنيا، المتنافسين على حطامها الزائل، ممن باعوا علمهم ودينهم واشتروا بهما ثمنا قليلا، فيقولون ما لا يفعلون، يدعون الناس إلى الجنة بأقوالهم، ويدعونهم إلى جهنم بأفعالهم – فيجب فهم ما ورد في محيط هذه الدائرة.

بدليل أن ابن الجوزي– في نفس كتابه سالف الذكر – ذكر أقوالا لأبي سعيد الخراز[٥]، ...

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الإمام عبد الوهاب الشعراني، لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ص: ج، دار القلم العربي – حلب سنة ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

(٣) عبد الرحمن بن علي، الشيخ الحافظ الواعظ، جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي، القرشي التيمي البغدادي الحنبلي، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره،، وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وكانت وفاته سنة (٥٩٧ هـ). انظر: البداية والنهاية ٢٨/١٣مصدر سابق.

(٤) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تلبيس إبليس ص ٢٨٢، وما بعدها، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

(٥) أبو سعيد الخراز، واسمه أحمد بن عيسى، وهو من أهل بغداد، وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، (ت٢٧٩هـ)، وأسند الحديث.انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ١٨٣، مصدر سابق.

...و لسهل التستري[١]، ولأبي علي الدقاق [٢]، ولأبي حامد الغزالي[٣] تحث على طلب العلم[٤].

ولا عبرة بمن يقول هناك فرق بين الحقيقة والشريعة، وأنه يجوز لصاحب الحقيقة مخالفة الشريعة، بل قال الكلاباذي[٥]: (اعلم أن علوم الصوفية علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحح

(١) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، كان عامة كلامه في تصفية الأعمال وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال، (ت ٢٨٣هـ). انظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠/ ١٨٩، الناشر: دار السعادة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) الحسن بن علي، الأستاذ أبو علي الدقاق النيسابوري الشافعي، لسان وقته، وإمام عصره، و كان جنيدي الطريقة، وله كرامات ظاهرة، و مكاشفات باهرة، (ت ٤٠٥هـ). انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٢/٢٧٩ حرف الحاء، مصدر سابق.

(٣) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، صنف الكتب المفيدة في عدة فنون، (ت ٥٠٥هـ). انظر أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤/ ٢١٦، ٢١٧، دار صادر - بيروت، ط١ سنة ١٩٧١م، المحقق/ إحسان عباس.

(٤) تلبيس إبليس ص ٢٨٧.

(٥) أبو بكر بن إسحاق البخاري الكلاباذي، الإمام الأصولي، له كتاب سماه التعرف، (ت ٣٨٠هـ). انظر: الإمام عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٢٧٢، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي، بدون رقم طبعة وتاريخ.

الأعمال، وأول تصحيح الأعمال معرفة علومها، وهي علم الأحكام الشرعية من أصول الفقه وفروعه من الصلاة والصوم وسائر الفرائض، إلى علم المعاملات من النكاح والطلاق والمبايعات وسائر ما أوجب الله وندب له)[1].

وكانت حياة الشيخ: أحمد رضوان نفسها، دعوة حقيقية إلى التفقه في الدين وأخذ العلم النافع، فهو الذي ينير للسالكين طريقهم، ومن الشواهد التي تؤكد على ذلك قوله: (زارني شاب في الخامسة والعشرين من عمره، يُخفي وجهه ولحيته، فألقى السلام ورددت (عليه السلام)، وقبل أن يجلس سألته عن أركان الإسلام فلم يجب، وسألته عن معنى لا إله إلا الله فلم يجب، فنصحته أن يذهب ويحلق لحيته، ويلحق بعمل يأكل منه، ثم يتصل بعالم يفقهه في الدين، ثم بعد ذلك كله يرسل لحيته)[2].

وهكذا ظهرت أهم ملامح منهج الشيخ في إصلاح التصوف، وذلك حينما رد أصول التصوف إلى الكتاب والسنة، وجعلهما حَكَمَين على الطرق الصوفية وأفعال المتصوفة، وجعل الخارجين عن الشريعة، قد خرجوا أيضا من عباءة التصوف، فضلا عن أن يُعدوا من رجاله، كما كان يدعو – دائما- إلى التفقه في الدين، وعد من لم يهاجر في طلب العلم آثما، فلا تصوف إلا بفقه، لأن الشيطان يُلّبس على الجهلاء أمور دينهم، ومن أجل ذلك أوصى (رحمه الله) بأن لا يُعطى عهد الطريق للجهلة من المريدين، وكان الشيخ من المقرنين بين العلم والعمل، الذين يرون ضرورة تلازمهما وأهمية اقترانهما.

---

(١) الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي الحنفي، التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٨٦، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٢) عباد الرحمن من حديث مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان ص ٣٩، مصدر سابق.

المبحث الثاني

الرؤية الإصلاحية للشيخ أحمد رضوان في قضايا التصوف الكبرى

دائما يبدأ الإصلاح من القضايا الكبرى المؤثرة في سواها من القضايا الصغيرة، وبإصلاح الكبير يكون إصلاح الصغير يسيرا، ولعل ذلك ما جعل الأنبياء والرسل- عليهم الصلاة والسلام- يبدؤون بدعوة أقوامهم إلى تصحيح الاعتقاد أولا، فإن صلحت العقيدة سهل تصحيح الأخطاء التي ارتكبها المرء، في مسائل الدين الأخرى، كالقلب في الجسد إذا صلح صلح الجسد، وإذا فسد فسد الجسد، وهذا ما سلكه الشيخ (رحمه الله) حينما قام بالتركيز في كلامه حول القضايا الكبرى في التصوف، وسعيه في إصلاح الخلل الذي وقع فيها، بأسلوب أخاذ، وإشارات تحمل معاني ومدلولات عميقة في نفسه، لأنه يدرك أهمية إصلاحها أولا، كما يعي أن الخلل فيها كان كبيرا، والهوة اتسعت فيها بين الحق والباطل، ونوضح ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول
الشيخ والمريد

أولا: أهمية الشيخ المرشد في السلوك.

يجتاز السالك إلى الله مفاوز كبيرة، وفي الطريق قطاع طرق، وشباك صيد، ومخالب حادة، وسباع تنهش، وقواطع كثيرة، كلها تريد أن تظفر منه لئلا يقطع الطريق، وتود أن تأخذ بحجزه لئلا يصل إلى منتهاها، وتعمل ما في وسعها من أجل الحيلولة بينه وبين ربه.

وكفى قسم الشيطان كما قال تعالى: **(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)**(١)، ناهيك عن شياطين الإنس، ومتع الدنيا المزينة، فضلا عن النفس الأمارة بالسوء وأهوائها ووساوسها وأمراضها، ومن هنا تبدو أهمية الشيخ المرشد في هذا الطريق، صاحب التجارب في اجتيازها، وله السبق في الوصول إلى بر الأمان، كما له من الخبرات التي تمكنه من أن يأخذ بيد غيره، ويساعد في عدم غرق من ركب معه السفينة، إذا هاجت الرياح، وتلاطمت الأمواج.

وإذا كنا في حياتنا العامة نحتاج إلى ذوي الخبرة والمؤهلين لقيادة الطائرات والقطارات وغيرها من وسائل المواصلات التي تقوم بنقل الناس إلى بلاد لم يكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس، ونستأمنهم على أنفسنا وأولادنا، فإن الاحتياج إلى ذوي الخبرة والدُّربة والدراية والدليل الخرِّيت، في الطريق إلى الله والسلوك إليه، أولى، وأشد، وأكثر أهمية، والحاجة إليهم ضرورية، ذلكم لأن النجاة هنا ليست نجاة للأجسام، وإنما للأرواح، وليست حياة للأبدان، وإنما للقلوب، وليست نجاة في دار الدنيا، بل في الآخرة.

ولهذا يرى الشيخ بأن من أسس إصلاح التصوف، التربية على يد المشايخ

---

(١) سورة ص:٨٢.

والمربين، وعن ذلك يقول: (المرشد أساس في طريق الله)[١]، ويستدل على ذلك بالأدلة القرآنية، قائلا: (لا بد للعبد في هذا السبيل من مرشد واصل إلى الله، لذلك قال الله تعالى: **(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)**[٢]، وقال تعالى: **(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)**[٣])[٤].

كما يستند (رحمه الله) في تقرير أهمية المرشد في الطريق إلى كلام بعض الصالحين الذي يقول فيه: (من لا أستاذ له لا مولى له، ومن ليس له مولى فالشيطان به أولى)[٥].

وفي الحقيقة أن حاجة المريد إلى شيخ ومرشد في السلوك يعود إلى أسباب متعددة، منها ما يخص التصوف نفسه، ومنها ما يخص المريد، ومما يخص التصوف نفسه، أن علم التصوف (ليس هو اللقلقة باللسان، وإنما هو أذواق ووجدان، ولا يؤخذ من الأوراق، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق، وليس ينال بالقيل والقال، وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال)[٦].

ومن الأسباب التي تخص المريد، أن السلوك إلى الله يحتاج إلى مجاهدة النفس وتحرز من وساوس الشيطان، ولهذا وصف (رحمه الله) عملية السلوك إلى الله

---

(١) فيض المنان من كلام سيدي أحمد رضوان ص ٨، ٩، مصدر سابق.

(٢) سورة الكهف: ١٧.

(٣) سورة البقرة: ١٨٩.

(٤) النفحات الربانية ص ٥١، ٥٢، مصدر سابق.

(٥) المصدر السابق ص ١٨٧.

(٦) الإمام أحمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ٢١/١، هذبه ونقحه د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١ سنة ٢٠٠٩م.

بالأمر شديد الصعوبة، فأثناء السير قد توجد معوقات للمريد، والتي لا يمكن التغلب عليها إلا بوجود المرشد، فيقول: (الطريق إلى الله يصعب الوصول إليه جداً، ولا يتأتى بالهز ولا بالهمهمة، وكم وقف قوم مع عباداتهم، وافتتن آخرون بالكرامات التي يُظهرها الله على يد أوليائه، فضلوا عن ربهم)[١].

ومن أسباب الحاجة إلى الشيخ أنه يتعرف على حالة المريد القلبية، ونوعية الأمراض التي يعاني منها قلبه وجوارحه، فيقدم له العلاج المناسب والدواء الناجع، ويتتبع حالته حتى يتم له الشفاء التام.

يقول (رحمه الله): (متى اتصل العبد بأحد العارفين، عرف حاله وما يحتاج إليه في سيره إلى الله، وأعطاه الدواء الناجح لشفاء روحه، وزوَّده بكل ما يحتاجه في طريق الله، حتى يصل إلى ربه، وبذلك يتحقق له الفوز في الدنيا والآخرة)[٢].

ومما يمكن أن يضاف هنا أيضا في الحاجة إلى مرشد رباني ومصاحبته، ما يسمى بالإفادة بالهمة والحال، وقد أشار إليها أنس بن مالك (رضي الله عنه) بقوله: (ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه (صلى الله عليه وسلم)، حتى أنكرنا قلوبنا)[٣].

فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نافعة لهم في قلوبهم، إذ من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، فلذلك أُمر بصحبة الصالحين، ونُهى عن صحبة الفاسقين[٤].

---

(١) عباد الرحمن ص ٣٨، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص ٢٦.

(٣) سنن الترمذي، باب في فضل النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٧/٦ برقم ٣٦١٨، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

(٤) قواعد التصوف ص ٩٥، قاعدة رقم ٦٥، مصدر سابق.

ثانيا: صفات الشيخ المرشد وعلاماته.

ليس كل أحد يصلح لأن ينصب نفسه شيخا، وليس كل من جمع حوله جماعة من العامة صار شيخا لهم، وليس كل من قرأ كتابا أو كتابين، أو استمع درسا أو درسين، أو لبس عمامة ذات حجم كبير، صار شيخا تشد إليه الرحال.

والإمام الشعراني (رحمه الله)[1] **يقول عن زمانه:** (كثر اتباع العمي، وذلك كله لمناسبة الزمان بعضه ببعض، فكل من جمع له جماعة في زاوية، وجعل له سماطا مما يشحته، صار شيخا عند العامة، لأنه ليس الشيخ عندهم إلا من كان حوله جماعة، ومن لم يكن حوله جماعة، ولو كان من أكابر الأولياء، فليس عندهم بشيخ يعبأ به)[2].

ولهذا كان للمربي صفات لا بد من توافرها فيه، حتى يصح الأخذ عنه، والسلوك على يديه، ونذكر منها.

١- أن يكون عاملا بالكتاب والسنة.

٢- التحلي بأخلاق الإسلام من البر بالضعيف والفقير، وعدم الغرور بنفسه.

٣- لم يلاحظ عنه تفريط في الفرائض أو السنن.

وهذا ما قرره الشيخ: أحمد رضوان (رحمه الله) **حين قال:** (الوصول إلى الله شديد، لا بد فيه من العالم الخبير، وهو الذي يحب العبد شاكلته المحمدية، وتظهر عليه مظاهر الميراث المحمدية، وعلامته، أن يكون عاملاً بالكتاب والسنة، متمسكاً بمكارم الأخلاق، لا يؤخذ عنه خروج عن أحكام الدين أو التفريط في الفرائض أو سنة سيد المرسلين (ﷺ)، وأن يكون رحمة مهداة للعالم

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الإمام عبد الوهاب الشعراني، موازين القاصرين من شيوخ ومريدين ص ٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ سنة ١٤٢٨-٢٠٠٧م.

كله، باراً بالضعفاء والفقراء، نقياً من كل النقائص، لا يداخله الغرور بنفسه، ولا الاغترار بطاعته، ولا يترفع عن الفقراء)[١].

وقد وُفق الشيخ (رحمه الله) حينما جعل أهم صفات المربي وشيخ الطريقة، هي العمل بالكتاب والسنة، وعدم التفريط في الفرائض والسنن والآداب الشرعية، وأن يأخذ المريد هذا العلم على يد من يظهر عليه ملامح ميراث النبوة المحمدية، وهي العلم والعمل والأخلاق، لأن الجوارح التي عصت الله مرارا، ولا زالت، كيف يصح منها دعوة غيرها إلى الصلاح، فكيف يريد المرء أن يصلح غيره إذا كان لا يستطيع إصلاح نفسه، وكيف يضئ المصباح بلا زيت، ومن يصلح الملح إذا الملح فسد؟؟!!.

ولأن هذا العلم دين، والأعمى لا يستطيع أن يقود غيره، (ولأن الجاهل لا ينبغي أن يتصدر للدعوة)[٢]، فإنه (رحمه الله) يستعير من القرآن الكريم مصطلح (الخبير)، ليدقق المريد في صفات شيخه الذي سيأخذ عنه، فلا يُتلقى هذا العلم إلا من توافرت فيه شروط الأهلية له، والمتخصصون فيه، فيقول:

(إن الوصول إلى الله شديد، ولابد فيه من العالم الخبير. قال تعالى: (**الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**)[٣].

فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا: أي فاسأل بذاته هو خبيراً، وقد يُقال فاسأل به خبيراً به أي عارفاً به. وفي الحقيقة فاسأل الرحمن على الخبير، وأيضاً اسأل الخبير العالم بالرحمن، يدلك على الرحمن جل شأنه. أي انتق الخبير العارف بالله تعالى، فهو

---

(١) فيض المنان ص ٨، مصدر سابق.

(٢) الإمام عبد الوهاب الشعراني، موازين القاصرين من شيوخ ومريدين ص ٤١، مصدر سابق.

(٣) سورة الفرقان: ٥٩.

يدلك على الإحسان في أداء المفروضات وفي المعاملات والكمالات الإنسانية)[١].

أي لا بد أن يكون الخبير أيضا، خبيرا بالحال والمقام والمنازل والأهوال[٢]، كي يستطيع أن ينفع غيره، ويُفاد منه في السلوك، لأن العلاقة بين الشيخ والمريد هي أبوة روحية، حيث إن الشيخ يربي المريد تربية روحية متعلقة بصلته بربه تعالى، ويساعده في تقوية الجانب الروحاني ليغلبه على الجانب الجسماني، فللبدن غذاءان، أحدهما للجسد والآخر للروح، وحاجة البدن إلى الغذاء الروحي أشد من حاجتها إلى الغذاء الجسماني، وإلى ذلك يشير الشيخ بقوله: (الأب الروحي هو الولي العارف بالله، مربى السالكين والمريدين في طريق الله، وهو أبوهم الروحي فينسبون إليه ويعرفون به، وهو أفضل من الأب الجسماني)[٣].

وإذا لم يوجد صاحب المؤهلات التي تؤهله للإرشاد، فلا يضيّق الشيخ واسعا عند الضرورة، حيث يرى أنه لا بأس من الأخذ عن من هو دونه في الدرجة، حيث يباح التيمم عند فقد الماء، يقول (رحمه الله): (ولا يصلح المرشد للإرشاد إذا كان أقل من هذه المرتبة، وإذا لم يوجد الكُفء يُباح التيمم، وهو اتباع أفضل الموجودين من الأمة في هذا الباب، حتى يرزق الله المُريدين بالمكمل من

---

(١) عباد الرحمن من حديث مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان ص ٣٦، مصدر سابق.

(٢) الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ: محمد المنير السمنودي، تحفة السالكين ودلالة السائرين لمنهج المقربين ص ١٠١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر ط١ سنة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٣) النفحات الربانية ص ٢٤١، مصدر سابق.

عباده، وهم رزق يسوقه الله لمستحقيه، فيا حسرتي على العلماء إلا القليل. فالعالِم إذا لم يكن مظهراً من مظاهر النبوة، لا يصح الأخذ عنه في السير إلى الله)[1].

وهكذا يكون الإصلاح في التصوف، أن يهتم من يتصدى لتربية غيره بأمر نفسه أولا، بأن يكون قدوة يحتذى بها، ويشار إليها بالبنان، فالشيخ يدعو هنا إلى إصلاح حال المرشدين والمربين وشيوخ الطرق وجميع من يتصدى للكلام حول الجانب الروحاني، وذلك بأن يتصفوا بالعلم، وأن يتحلوا بحلية العمل ومكارم الأخلاق، وأن يكونوا ربانيين، حتى يُرزقوا القبول عند العامة والخاصة على حد سواء، أسوة بمشايخ الطريق الأولين، الذين شهد بفضلهم الموافق والمخالف.

ثالثا: المريد وآدابه مع شيخه.

المريد هو العبد المتوجه إلى ربه، والمُخلص في طلبه[2]، وقد اهتم الشيخ: أحمد رضوان بالمريد، وتربيته تربية سليمة، لأنه حجر الزاوية في الطريق، فأشار إلى آداب يتأدب بها مع خاصة نفسه، ليتم له إصلاحها، وسيأتي تفصيلها في المبحث الثالث، كذلك ذكر الشيخ آدابا للمريدين تتعلق بشيوخهم وآبائهم الروحيين، وهذه الآداب نشير إليها فيما يلي:

- **الاستئذان في الدخول عليهم.**

يتأكد على المريد أن يستأذن في الدخول على مجالس الشيوخ، وأن يطلب منهم الإذن في مصاحبتهم، ولا أدل على ذلك من استئذان موسي (عليه السلام) للخضر، والمشار إليه في قوله تعالى: **(قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ**

---

(١) النفحات الربانية ص ٢٢٤، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٢.

مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)[١].

ويشير الشيخ إلى ذلك بقوله: (لا تنتفع بالعارفين إلا بعد أن تستأذن في الدخول عليهم، لا كما يفعل أهل هذا الزمان، يهاجمون أهل حضرة الله من غير أدب، ويدخلون من غير إذن لجهلهم بالله وبأهل حضرته، ومن فعل هذا حُرم بركة الله وأهل فضله)[٢].

- **التزام الأدب في مجالسهم.**

يعطي الصوفية مقام الأدب مع المشايخ أهمية كبرى حيث قال الجنيد[٣]**:** (من حُرم احترام المشايخ ابتلاه الله بالمقت بين العباد)[٤]، ويرى الشيخ: أحمد رضوان بأنه لا بد من التزام الأدب مع الشيوخ، سواء في الدخول عليهم أو أثناء محادثتهم ومجالستهم، فيقول: (يجب الدخول عليهم بالأدب، ومجالستهم بالأدب، ومخاطبتهم بالأدب، وإكبار شأنهم)[٥].

ومن جالسهم بأدب، نال من فيض علومهم وانتفع بأقوالهم وأحوالهم، كما يقول الشيخ: (من جالسهم بأدب رشحوا عليه من فيض الله، فأذاقوه لذة العبودية ولذة القُرب من فيض الله، فإنهم يتصدقون من فيضه تعالى، وقد ربط الله البعض بالبعض، والكل بالكل، لتمام النفع وتحقيق الخير)[٦].

وعلى قدر الأدب في مجالسة الصالحين يكون العطاء، فقد (يحدث كثيرا أن

---

(١) سورة الكهف: ٦٦.

(٢) عباد الرحمن ص ٣١، مصدر سابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) تحفة السالكين ودلائل السائرين لمنهج المقربين ص ١٠٧، مصدر سابق.

(٥) النفحات الربانية ص ٢٢١، مصدر سابق.

(٦) عباد الرحمن ص٣٨، مصدر سابق.

يمكث بعض الناس مع العارفين سنين ولا يفتح عليهم، ويكون الحرمان من الفتح بسبب عدم معرفة أدب الجلوس والصحبة مع الصالحين)[١].

- **عدم الاعتراض على أقوال الشيخ.**

كذلك أشار الشيخ إلى أنه مما يجب على المريد أن يسلم للشيوخ أحوالهم وأقوالهم، ولا يعترض على ما لم يعرفه، حتى يتبين له في المجلس أو في مجلس آخر دون أن يحكم[٢]، وليس معنى ذلك اعتقاد العصمة في الشيوخ، ولا يدعو الشيخ، بل ولا الصوفية المتحققون- إلى ذلك، وإنما المقصود: الصبر على كلامهم وأفعالهم إذا شعر المريد منها بشيء يخالف الشريعة، ولا يسارع في إصدار الحكم دون أن يتبين، فالأمر كله يدور حول إعطاء الشيوخ والعلماء مزيدا من الاحترام والتوقير، الذي أمرت به الشريعة.

يقول القشيري[٣]: (ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة، بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم، فيحسن بهم الظن، ويراعي مع الله – تعالى- حده فيما يتوجب عليه من الأمر، والعلم كافيه في التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول)[٤].

- **السفر إلى الشيوخ للأخذ عنهم.**

إذا لم يجد المريد شيخا في محله من هو أهل للإرشاد والتوجيه والتربية، سافر في الطلب والبحث عن من هو أهل لذلك، للأخذ عنه، وكم تعب السلف في طلب العلم!.

---

(١)عباد الرحمن، ص٣١.

(٢) نفسه ص ٣٥.

(٣) الإمام الزاهد القدوة، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخراساني النيسابوري الشافعي، الصوفي المفسر، صاحب "الرسالة"، (ت ٤٦٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ٣٩٥/١٣، مصدر سابق.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٣١، مصدر سابق.

يقول الإمام الأكبر الأسبق الشيخ: السمنودي[١]: (يجب على المريد إذا لم يجد من يتأدب به في بلده، ويعظم في عينه ويعتقده، أن يسافر إلى من هو منصوب للإرشاد والسلوك والترقي في المقامات)[٢]، ويستدل على ذلك الشيخ: أحمد رضوان بسفر موسى (عليه السلام) إلى الخضر، فيقول: (وواجب على المؤمن أن يهاجر إلى الأولياء والصالحين مهما تحمل في سبيل ذلك من مشاق ومصاعب، فإن سيدنا موسى (عليه السلام) هاجر في طلب الخضر، وفي ذلك عبرة لنا. **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)**[٣].

ومما سبق يتضح أن الشيخ (رحمه الله) سعي في مسألة إصلاح المريد، حيث جعل ثمة آدابا تنظم العلاقة بينه وبين شيخه، مثل أن يستأذن في الدخول عليه، وأن يتأدب في مجلسه، وأن لا يعتقد فيه العصمة من الذنوب، وعليه أن يهاجر في طلب الصالحين والمرشدين المؤهلين للأخذ عنهم، إذا لم يجدهم في بلده، كما سافر موسى (عليه السلام)، في طلب الخضر.

---

(١) هو شيخ الأزهر الإمام الأكبر الشيخ: محمد المنير بن الحسن بن محمد بن أحمد السمنودي الشافعي الأحمدي ثم الخلوتي المصري الشهير بالمنير، الشيخ الإمام المحدث المقرئ الصوفي العارف بالله، ولد بسمنود،، وأخذ الناس عنه الحديث والقراءات والفقه طبقة بعد طبقة، وألف مؤلفات نافعة، وصار شيخ الأزهر، وهو أول من انتزع مشيخة الأزهر من المالكية، (ت١١٩٩هـ). انظر: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٤/ ١٢٢، دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم، ط٣ سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) تحفة السالكين ودلالة السائرين ص ١١٢، مصدر سابق.

(٣) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ٧٢، ٧٣، مصدر سابق، والآية من سورة الكهف:٦٠.

المطلب الثاني
العارف وصفاته

أولا: تعريف المعرفة

المعرفة هي صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله- تعالى- في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظى من الله بجميل إقباله، وصدق الله في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره[١]، وبالجملة، فبمقدار أجنبيته عن نفسه تكون معرفته بربه[٢].

و لعل أول من تكلم عن المعرفة عند الصوفية: معروف الكرخي[٣]، وممن تحدثوا عن المعرفة أبو سليمان الداراني[٤]، على أن أبرز صوفي، غلب عليه الكلام في المعرفة، بكلام دقيق: هو ذو النون المصري[٥]، وقد رأى ذو النون

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٤٢، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق من نفس الموضع.

(٣) علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، ذكر معروف عند الإمام أحمد فقيل: قصير العلم. فقال: أمسك وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟ وحدث يعقوب ابن أخي معروف: أن معروفا استسقى لهم في يوم حار فما استتموا رفع ثيابهم حتى مطروا. وقد استجيب دعاء معروف في غير قضية، (ت٢٠٠هـ). انظر:سير أعلام النبلاء ٨٧/٨، مصدر سابق.

(٤) أبو سليمان الداراني، وهو عبد الرحمن بن عطية، ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، وهو من أهل داريا قرية من قرى دمشق، (ت٢١٥هـ)، وأسند الحديث، انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ٧٤، مصدر سابق.

(٥) الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد. وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي، الإخميمي. يكنى: أبا الفيض. ويقال: أبا الفياض، روى عن: مالك، والليث، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وطائفة. قال ابن يونس: كان عالما، فصيحا، حكيما، (ت٢٤٥هـ). انظر سير أعلام النبلاء٤١٧/٩، مصدر سابق.

أن غاية الحياة الصوفية، الوصول إلى مقام المعرفة، الذي تتجلى فيه الحقائق، فيدركها الصوفي إدراكا ذوقيا لا أثر فيه للعقل ولا للرؤية، وذلك لا يكون إلا لخاصة أهل الله[١].

وهو نفس ما أيده الشيخ: أحمد رضوان (رحمه الله) حين رأى أن علوم العارفين بالله ذوقية، لا تؤخذ من كتب، ولا تنال بالقراءة، وإنما (تؤخذ مشافهة من عارف إلى عارف، إلى رسول الله (ﷺ)، وتفاض عليهم من باب (**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**)[٢]، وهذا هو علم العارفين)[٣].

ولمّا رأى الشيخ كثرة طلاب المعرفة، وأن منهم من يدّعون تلك المنازل العالية، وهم كسالى عن العمل، مقصرون في أداء الواجبات، منهمكون في ارتكاب المحرمات، ليس لديهم أدنى مجاهدة لأنفسهم، أو معالجة لأهوائهم، ومكابدة للمشاق، أرشد إلى سبل الوصول إلى هذه الدرجة الرفيعة، وعلامات أهلها، وسمات العارفين، فربط بين نيل هذه الدرجة وبين الالتزام بالشريعة برباط وثيق، لأنه محوره في الإصلاح، فقال: (ولا يعطى هذا العلم إلا لرجل طرح الأكوان، وأحب الرحمن، واقتدى بالقرآن، واتبع سيد الأنام)[٤].

فالطريق إلى نيل درجة المعرفة، والوصول إلى العلوم الذوقية الفيضية التي ينالها العبد، لا يكون إلا لمن توافرت فيه شروط معينة، من الزهد القلبي في

---

(١) انظر: د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي ص ١٠٠-١٠٣ باختصار كبير، دار الثقافة، ط٣ بدون تاريخ.

(٢) سورة الكهف: ٦٥.

(٣) عباد الرحمن من حديث مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان، ص ٥، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق من نفس الموضع.

هذه الدنيا، وهو معنى قوله: طرح الأكوان، وكذلك محبته – سبحانه، وتعنى تعلق القلب به، ذاتا وصفات وأفعالا، تعلقا يجعل القلب يشتاق إلى رؤيته، ويسوقه إلى طاعته، و تعلقا يحجز من معصيته حياء منه، وهذا لا يكون كماله إلا لعبد اقتدى بكتابه، واتبع سنة نبيه (ﷺ).

وبالجملة أعلن (رحمه الله) أن من ألزم الصفات لنيل المعرفة بالله، والقرب منه سبحانه: (التزام المأمورات واجتناب المنهيات)[١]، لأن (خدمة الرجال سبب الوصال)[٢]، و هو نفس ما أشار إليه أبو يزيد البسطامي[٣]، حين قال: (علامة العارف، أن لا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره)[٤]، فلا تأتي المعرفة إلا ببذل المجهود، كما قال أبو سعيد الخراز[٥].

ثانيا: الصلة بين المعرفة والأخلاق.

كما يرى الشيخ (رحمه الله) بأن حسن الخلق، سواء مع المنتسبين لجناب الله، أو مع جميع الخلق، من الأشياء التي يصل العبد بها إلى مقام المعرفة، ويتضح ذلك حينما جعل من الصفات التي توصل إلى نيل المعرفة: (الأدب مع أهل الله، ومع جميع خلقه)[٦]، وهو بذلك يتفق مع الشيخ: أحمد الرفاعي[٧] الذي جعل

---

(١) النفحات الربانية في أقوال وتوجيهات الشيخ: أحمد رضوان ص ٩٠، مصدر سابق.

(٢) فيض المنان ص ١٠، مصدر سابق.

(٣) أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان جده سروشان هذا مجوسيا فأسلم، وهم ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلي، وكلهم كانوا زهادا عبادا أرباب أحوال، (ت٢٦١هـ). انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ٦٧، مصدر سابق.

(٤) أبو يزيد البسطامي – المجموعة الصوفية الكاملة ص ٧٣، دار المدى سنة ٢٠٠٤م، تحقيق وتقديم /قاسم محمد عباس.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٣٤٧، وقد سبقت ترجمة أبي سعيد.

(٦) النفحات الربانية ص ٩٠.

(٧) سبقت ترجمته.

(أُسَّ المعرفة بالله: مكارم الأخلاق)[١].

وللمعرفة عند آل رضوان أهداف أخلاقية وغايات سامية، فكما ذكر ذو النون[٢] بأن العارف يحتملك ويحلم عنك، تخلقا بأخلاق الله[٣]، ذكر أيضا ابن الشيخ: محمد رضوان[٤]، من صفات العارف: (أنه يقول الحق، وينطق بالصدق، يصاحب في الله، ويفارق في الله، يحب في الله، ويبغض لله)[٥].

ويقول عن صفات العارفين: (أخلاقهم أخلاق النبي (ﷺ)..... لا هوى لهم في أنفسهم، هواهم تبعا لما جاء به نبيهم (ﷺ)، فهموا الكتاب فجعلهم من الأحباب، وفهموا السنة فكانوا أسنة حراب على أنفسهم وعلى الشيطان الرجيم، وجدوا أنفسهم عند الأمر، وفقدوها عند النهي، خافوا الله في أسماعهم، فكان الله سمعهم، وفي أبصارهم فكان الجليل بصرهم، وفي أيديهم فكان الوهاب قوتهم، وفي أرجلهم فكان الله بغيتهم)[٦].

ولا غرو فإن العبادات- إن أُديت بشروطها وآدابها، تهذب الأخلاق، وتسمو بالنفوس، وبُعث الرسول ليتمم مكارم الأخلاق، ولعل هذا ما جعل بعض

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله ص ١١٠، مصدر سابق.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٣٤٤، مصدر سابق.

(٤) الشيخ: محمد أحمد محمد رضوان، ولد سنة ١٩٢٧م، وحفظ القرآن في صغره، وعكف على مجالسة والده، وكان إذا تحدث أفيض عليه، وعُرف عنه أنه كثير المكث في مدينة جده (ﷺ). انظر: العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ٢٥، مصدر سابق.

(٥) الشيخ: محمد أحمد رضوان، النفحات الربانية في وصف أهل الحضرة الربانية ص ٢١، مطبعة أمين عبد الرحمن بالقاهرة، ط١، سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.

(٦) المصدر السابق ص ١٩، ٢٠.

الصوفية يربطون بين التصوف والأخلاق، ويرون بأن التصوف حسن الخلق، لأن حسن الخلق، ثمرة من ثمار التصوف، ترقي صاحبها إلى درجة العرفانية، والعارفون أخلاقهم، كأخلاق نبيهم (ﷺ).

وواضح أن الشيخ (رحمه الله) يهدف إلى إبراز التصوف كمنهج، يربي أتباعه على حسن الخلق مع الناس جميعا، وهو جانب مهم في الإصلاح، يجدر الانتباه إليه.

المطلب الثالث
الولاية والكرامة

أولا: الولاية

الولاية درجة في القرب ناتجة عن صفاء القلب بالذكر ومداومة الطاعات، ولا ينالها العبد بكثرة صلاة وصوم وأذكار فقط، دون متابعة للرسول (ﷺ)، وتخلق بأخلاقه الشريفة في كل أموره، فأساسها المتابعة.

يقول الشيخ عن ذلك: (الولاية ليست مجرد ذكر وقيام ليل، إنما هي تأدب بأدب رسول الله (ﷺ)، وتخلق بأخلاقه، وعمل بما جاء به من عند ربه)[1].

ولعل الشيخ شاهد أن مدعي الولاية والصلاح كُثر، ولكنهم أبعد عنها عملا وحالا، فما أيسر الدعاوى، وما أقل الصادقين، ولهذا ذكر صفات الولي لله حقا، فوضح أن عمله يدور جميعه حول الاتباع والامتثال للأوامر وترك المنهيات، يقول (رحمه الله): (الولي:هو الذي إذا رأيته يُذكر الله، وليس عنده غفلة ولا فضول، ولا ما يخالف الأدب مع الحق. فتراه بين يدي الله، محفوظ اللسان والفرج والسمع)[2]، ويقول أيضا: (الولي: عبدٌ حُفظت بشريته عن المخالفات)[3].

وبهذا يتبين أن الولي الحق محافظ على الالتزام بالشريعة، مستمسك بآدابها، مهتد بهديها في قوله وفعله وحاله، وكأن الشيخ يشير إلى عدم التعلق بمدعي الولاية وهي منهم براء، وأنه يجب أخذ الحيطة والحذر من أمثال هؤلاء، ولا يريد من عامة الناس الاغترار بالكذابين في الطريق، المدعين للوصول، وهم لا يقيمون للشريعة في قلوبهم وزنا، وليس في أفعالهم ما يدل على توقيرها واحترامها.

---

(١) عباد الرحمن ص ١٤، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص ١٧.

(٣) عباد الرحمن ص ١٧ باختصار، مصدر سابق.

ولم يقصد الشيخ بقوله أن الولي حُفظت بشريته عن المخالفات، بأن الولي معصوم من الذنوب، ولم يقل بذلك أحد من الصوفية المتحققين، لأن العصمة دفنت بموت الرسول (ﷺ) وإنما المعنى عندهم جميعا ما ذكره الكلاباذي[1] في قوله عن درجة الولاية: (يكون صاحبها محفوظا عن النظر إلى نفسه فلا يدخله عجب، ويكون مسلوبا من الخلق بمعنى النظر إليهم بحظ فلا يفتنونه، ويكون محفوظا عن آفات البشرية وإن كان طبع البشرية قائما معه باقيا فيه، فلا يستحلى حظا من حظوظ النفس، استحلاء يفتنه في دينه، واستحلاء الطبع قائم فيه وهذه هي خصوص الولاية من الله للعبد، وهو مع هذا ليس بمعصوم من صغيرة ولا كبيرة، فإن وقع في أحديهما قارنته التوبة الخالصة)[2].

ثانيا: أنواع الولاية

الولاية عطاء من الله من جهة، ومجاهدة من العبد من جهة أخرى، لكن المدار يكمن في تفضل الله – تعالى – على عبده، وفي ضوء ذلك يُفهم ما ورد من تقسيم الشيخ للولاية إلى قسمين، حيث جعل منها (ما هو هبة من الله وفيض عطاء منه لصاحبه، و منها ما يتحصل بالمتابعة، و أطلق على الأولى اسم: الولاية الوهبية)[3].

وأطلق على الأخرى اسم: الولاية الكسبية، ومفهومها عنده بأن يرزق الله العبد الاستقامة، والعمل بالمأمورات وتجنب المنهيات بإخلاصٍ وذلٍ لله وانكسار، والولاية الكسبية للحديث القدسي (ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)[4].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٥، مصدر سابق.

(٣) النفحات الربانية ص ١٩٣، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق ص ١٩٣، ١٩٤ باختصار كبير، والحديث بتمامه عَنْ أَبِـــي هُرَيْــرَةَ=

فليس معنى ذلك بأن الشيخ ممن يري بأن الولاية، ربما كانت في المصرين على كبائر الذنوب، وأهل الزيغ والضلال، يمنحها الله لهم بلا عمل ولا مجاهدة، كيف-وقد مر آنفا- أنه جعل الولاية تأدبا بأدب رسول الله (ﷺ)، وتخلقا بأخلاقه الشريفة، وجعل أهلها محفوظين من المخالفات ؟! ولكن الشيخ يقصد بالولاية الوهبية والكسبية:

- أن الولاية هبة من الله -تعالى- من جهة، ومن جهة أخرى ينالها العبد باجتهاده في الطاعات والبعد عن المنهيات.

-وأن الله - تعالى- إذا وهب أحدا ولايته، تولى حفظه وتوفيقه للطاعات واجتناب المنهيات.

بدليل أنه (رحمه الله) عاد، وجعل عنصر الطاعة، وتفضل الله على عبده بها، شرطا آكدا لا بد من توفره في النوعين، وجعل الولاية الوهبية مترتبة على الولاية الكسبية، وإلى ذلك يشير قوله: (والولاية الوهبية والولاية الكسبية، كلاهما كمال وتفضل، لأنه المتفضل على عبده بالطاعة، فمتى صححت العقد مع الله زادك الله من فضله، فإذا اجتهدت فيما أمرك منحك الوهبية)(1).

وأعظم كرامة ينالها المؤمن من ربه- تعالى- هي الاستقامة، وتوفيقه له للمداومة على الطاعات، وحفظه من الوقوع في المخالفات، لأن الاستقامة عين

=(رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً). صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} آل عمران: ٢٨، ٩/١٢١برقم ٧٤٠٥.

(١) المصدر السابق من نفس الموضع.

الكرامة، وذلك بناء على أن الكرامة حظ النفس، والاستقامة حظ الرب، على حد ما ذكر أبو علي الجوزجاني[1][2]، وهذا نفس منهج الشيخ، حيث قدم (مقام العبدية– على حد تعبير الشيخ: أبي الهدى الرفاعي[3]، على ما سواه من المقامات الأخرى، لأنها أشرف المقامات قدرا، وأعلاها منزلة.

قال (رحمه الله): (وأعظم درجة في الولاية: هي درجة العبودية الحقة، أي أن العبد يكون تام الطاعة لله (سبحانه وتعالى). لذلك قال الله تعالى: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً)**[4]، فدرجة العبودية أشرف درجة عند الله)[5].

ولمّا رأى الشيخ أن بعض الناس يتعلقون بالهيئات الظاهرة لمدعي المشيخة، واعتقادهم أنهم هم الأولياء لا غير، أشار إلى مسألة دقيقة تتعلق باختفاء الأولياء بين الخلق، وعدم الوقوف على معرفة بعضهم إلا بمشقة بالغة، لأنه ليس لهم

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢٤٠، مصدر سابق.

(٣) أبو الهدى الصيادي الرفاعي، بغية أولي الأفهام في الفرق بين الحال والمقام ص ٢٠٠، بدون ذكر دار نشر، ط١ سنة ١٣٨٩هـ، والشيخ: أبو الهدى الرفاعي هو الشريف السيد الأستاذ أبو الهدى بن السيد حسن وادي بن السيد خزام ابن السيد علي الخزام بن السيد حسين برهان الدين الرفاعي الخالدي الصيادي، يحق لعصره به الفخار، ولمصره أن يتيه به على سائر الأمصار، لو حاول اللسان حصر أوصافه لعجز، وخدمته القرائح بالمدائح، وكتبه كثيرة، توفي سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين. انظر: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ص ٧٢ : ٩٤، دار صادر، بيروت، ط٢ سنة ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار.

(٤) سورة الإسراء: ١.

(٥) عباد الرحمن ص ١٦، مصدر سابق.

ملبس معين، ولا هيئة شكلية خاصة بهم، فمنهم المعافى ومنهم المبتلى، وربما كان بعضهم في وظائف عليا أو وظائف لا يؤبه لها، وربما كان آخرون منهم شعثا غبرا لا يُفتح لهم باب، ولا يُعطوْن إن سألوا، ولا يُسمعُ لهم إن تكلموا، ولا يُدعوْن على الموائد، بل منهم من لا يُعرف إلا بعد موته، وعن ذلك يقول: (أولياء الله كثيرون، ولكن يخفيهم الله خوفاً على الناس من الاعتراض عليهم، فينالهم المقت من ربهم، لعدم طاعتهم، وهذا من رحمة الله بخلقه، وهناك أولياء لا يظهرهم الله إلا بعد موتهم، وآخرون يظهرون في الدنيا، وهناك من لا يظهرهم مطلقاً)[١].

ثالثا: كرامات الأولياء

من معتقد أهل السنة أن كرامات الأولياء حق [٢]، فأهل الولاية هم الذين تخرق لهم العادات والنواميس الكونية، وفي الحديث القدسي (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)[٣]، وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»[٤].

---

(١) عباد الرحمن ص١٨، ١٩.

(٢) الإمام سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية ص ١٣٤، دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان سنة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م، تحقيق: أ. علي كمال.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ١٠٥/٨ برقم ٦٥٠٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء٤/ ٢٠٢٤ برقم ٢٦٢٢.

ولكن لا تُعطى الكرامات إلا لأهل الصلة به، والقرب منه (ﷻ)، وبالتزام سنة نبيه (ﷺ)، (فإنه إذا صح الإرث للولي في أفعاله بحسن الاتباع، ولزوم الاقتداء، لا يبعد أن يتحفه الله – تعالى- بالكرامات)(١).

ولهذا يذكر الشيخ ما يُفرَّق به بين الولي الصادق من الدعي الكاذب حين وقوع الخارق من أحدهما، فيقول: (وسبب الكرامة الصلة بالله، فمن كان له صلة صادقة بالله، أجرى الله على يديه ما يشاء من كرامات)(٢)، وهو موافق لما قال أبو يزيد البسطامي(٣): (لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي)(٤)، لأن الخوارق قد تجري على أيدي أولياء الشيطان، ولكن التمييز بينهما يكون بميزان الاتباع والصلة الصادقة بالله (فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا)(٥).

وإذا كان النبي (ﷺ) ذكر بأن الآيات عند الله، كما قال الله: (**وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**)(٦)، فإن الشيخ أشار إلى أن الولي أيضا لا يستطيع استجلاب الكرامة من عند نفسه، أو أن

---

(١) المناوي، الطبقات الصغرى ص ١٧، مصدر سابق.

(٢) النفحات الربانية ص ٢٥٩، المصدر السابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) الإمام أبو نصر الطوسي، اللمع ص ٤٠٠، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م، تحقيق: فضيلة الدكتور/ عبد الحليم محمود – طه عبد الباقي سرور.

(٥) شرح العقائد النسفية ص ١٣٤، مصدر سابق.

(٦) سورة العنكبوت: ٥٠.

يتحدى الناس بأنه سيفعل بعض الخوارق لهم، بل ولا يعلم وقت ظهور الكرامة على يده، أو هل يستحق كرامة من الله أم لا؟ فالولي الصادق ليس له طمع في الكرامات ولا تخطر على قلبه وباله، والعلة أنها كما قال الشيخ (خلق من خلق الله، يخلقها الله في قلب عبده متى شاء)[١]، وأنها (طفح يزيد عليه، فيخرج رغم أنفه)[٢].

ومما سبق يتضح أن الشيخ (رحمه الله) عالج كبرى مسائل التصوف، وهي مسألة الولاية والأولياء والكرامات بدقة متناهية، وعناية بالغة، بسبب كثرة مدعي الولاية، والقرب، والوصول، والمشعوذين، ومن يستمتعون بالجن، ويستمتع الجن بهم، فأشار إلى صفات الولي الحقيقي، فهو الذي ليس عنده غفلة ولا فضول، ولا ما يخالف الأدب مع الحق، ولم يقل بادعاء العصمة له من الذنوب، لأن غاية الأمر أنه محفوظ، وفرق بين الحفظ والعصمة، ووضع فرقا يُميّز به بين الولي الصادق من الولي الكاذب، حين وقوع الخارق من أحدهما، وهو الاتباع للرسول (ﷺ)، وبيّن أن أرفع درجة في الولاية هي درجة العبودية لله (ﷻ)، وذكر كذب من يقول للناس بأنه ولي، ويتحداهم باستطاعته فعل الخوارق لهم، ببيان أن الكرامة من شأن الله وحده، يوجدها متى شاء لعبده، كما تحدث عن اختفاء بعض الأولياء، وعدم الوقوف على معرفة بعضهم، ولا يُعرف آخرون منهم إلا بعد وفاتهم، وذلك لئلا يعتقد الناس بأن للأولياء هيئات معينة، أو على وظائف بعينها.

---

(١) عباد الرحمن ٤١، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق من نفس الموضع.

المطلب الرابع
عقيدة وحدة الوجود

أولا: معنى وحدة الوجود

تصوف وحدة الوجود: هو التصوف المبني على القول بأن ثمة وجودا واحدا فقط؛ وهو وجود الله، أما التكثير المشاهد في العالم فهو وهم على التحقيق، تحكم به العقول القاصرة. فالوجود إذن واحد لا كثرة فيه.

وعلى ذلك، فإن وحدة الوجود في التصوف الفلسفي تنقسم إلى قسمين:

الأول: مذهب القائل بوجود الممكنات أو المخلوقات على نحو ما، وتسمي هذا المذهب بوحدة الوجود غير المطلق.

والثاني: مذهب القائل بإطلاق القول بالوحدة، وهؤلاء هم أصحاب الوحدة المطلقة[1].

وكان على رأس هذا المذهب، الحسين بن منصور الحلاج[2]، وابن الفارض[3]،

---

(١) انظر مقدمة كتاب الإمام عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، الوجود ص ٧، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، ط١ سنة ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

(٢) الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث، وهو من أهل بيضاء فارس، ونشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيد وأبا الحسين النوري وعمرا المكي وغيرهم، والمشايخ في أمره مختلفون، قتل ببغداد بباب الطاق، سنة تسع وثلاثمائة. انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ٢٣٦، مصدر سابق.

(٣) عمر بن الفارض أبي الحسن على بن المرشد بن علي، شرف الدين، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة. العارف المحب، صاحب الديوان المعروف الفائق، والشعر الرائق، (ت٦٣٢ه). انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء ص ٤٦٤، ٤٦٥، مصدر سابق.

وابن عربي[١]، وابن سبعين[٢]، والجيلي[٣] وغيرهم، وقد حاول الكثير من الصوفية تحليل هذا الرأي، والبعد به عن الإلحاد والزندقة؛ دفاعا عن القائلين بوحدة الوجود، وكان منهم النابلسي[٤]، حيث يرى أن مفتاح وحدة الوجود يكمن في مفهوم الوجود الحقيقي، فالممكن لا وجود له مستقل عن الحق.

فيحاول النابلسي أن يحل معضلة وحدة الوجود على مستوى مفهوم الوجود بتحديده بالحق دون الخلق، ويتضح موقف النابلسي إذا أُعطينا الاسم الإلهي القيوم، مثلا، فالحق هو القيوم في صور الخلق، والممكنات لا تقوم بذاتها، بل تقوم بالقيوم. إذن الوجود الواحد هو الحقيقي الذي تقوم به الممكنات[٥]، ووجود العالم إن لم يتعلق بذات الله أو صفة من صفاته لزم تعطيل الصانع، واستغناء

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين، من أبرز أقطاب التصوف الفلسفي في القرن السابع الهجري بالمغرب العربي، (ت٦٦٨هـ). انظر د. محمد العدلوني الإدريسي، التصوف في فلسفة ابن سبعين ص ١٣، دار الثقافة – الدار البيضاء ط١ سنة ٢٠٠٦م.

(٣) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ: عبد القادر الجيلاني، له كتب كثيرة، منها " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، (ت٨٣٢هـ). انظر الأعلام ٤/٥٠، مصدر سابق.

(٤) الشيخ: عبد الغني بن إسمعيل بن عبد الغني بن إسمعيل بن أحمد بن إبراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسي الحنفي الدمشقي النقشبندي القادري، الولي العارف، صاحب المصنفات التي اشتهرت شرقاً وغرباً وتداولها الناس عجماً وعرباً، ونظمه لا يحصى لكثرته، (ت ١١٤٣هـ). انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣/ ٣٠ وما بعدها، مصدر سابق.

(٥) الوجود ص ٨، مصدر سابق.

تحقق الحوادث عن الموجد، وهذا محال[١].

ومهما عبر الصوفية– كما قال الإمام الأكبر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود[٢]– في هذا الميدان عن الوجود الواحد، فقالوا في ذلك، وزعم الناس أنهم أسرفوا واشتطوا، فإنهم لن يبلغوا المدى الذي بلغته تلك الآية الكريمة، التي تمثل في روعة رائعة الهيمنة المهيمنة، والاستغراق القاهر، والجلال الشامل، والتي لا تعني وحدة متحدة، ولا اتحادا متطابقا بين الخالق والمخلوق، أو العابد والمعبود، و الآية هي: **(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)**[٣].

ثانيا: فلسفة الشيخ نحو هذه العقيدة.

وبنفس الفهم الذي أوتيه النابلسي والدكتور عبد الحليم محمود وغيرهما، دافع الشيخ: أحمد رضوان عن هذه العقيدة التي اختلف في فهمها وفي الحكم علي أهلها الأولون والآخرون، فهو يرى أن الكون قائم بالله، وهو سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت، وهو القيوم، من غير حلول في الكون ولا اتحاد به، فالمخلوقات قائمة به، ولولا كمال قيوميته عليها ما قامت، ولو لا إمداده لها ما وُجدت، و لو لا تكوينه لها ما تكونت، ولو لا إبقاؤه عليها ما بقيت.

يقول الشيخ (إن الله تعالى ما انفصل عن شيء، وما دخل في شيء، ولا يقبل المثلية، فلا نظير ولا ند، فلو خرج منه شيء، أو دخل في شيء، لا يكون إلهاً.

---

(١) شرح العقائد النسفية ص ٧٣، مصدر سابق.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، قضية التصوف – المدرسة الشاذلية ص ٢٥٦، دار المعارف، ط ٣، بدون تاريخ، والآية من سورة الحديد: ٣.

ووحدة الوجود هي نسبة الأشياء الكونية كلها إلى الله، سواء كانت علوية أو سفلية، في الدنيا أو في الآخرة، وقد قيل في ذلك: أن الأشياء ثابتة بإثباته إياها، وأنها ممحوة بأحدية ذاته، فلولا قيامه بها لم تقم لها قائمة، إذ لا وجود لها عن نفسها.

وهذه الوحدة لا تكون إلا في الإنسان الكامل، وهو الجامع للحقيقة والشريعة، أي الجامع بين الحق والخلق، وفى الحديث القدسي: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا)(١) .

ومن خلال ذلك يدافع الشيخ عن كلام المتصوفة المتعلق بهذه العقيدة والذي أوغر عليهم صدور الفقهاء، حتى كفروا بسببه معتنقيها، وتم رميهم بالزندقة والإلحاد، فكلام القوم في هذا الباب دقيق، يجل فهم مراده عند كثيرين، ممن وقفوا عند ظواهر الألفاظ، ومن لا يعرف أذواق القوم –وأساليب الإشارة التي يتميزون بها في عباراتهم، ولغتهم الرمزية– ظن بهم الظنونا.

يقول (رحمه الله): (وكلام القوم في هذا الباب أعجمي على من لم يذق طعم كلامهم، ويجب حسن الظن بهم، ولذا قال ابن عربي(٢): (كتبنا سم على من لم يعرف اصطلاحنا، ويذق أذواقنا)، و(أنا كنت في بادئ أمري أدرس كتب الفقه، وشمائله (ﷺ)، وابن عجيبة(٣)، ...

---

(١) النفحات الربانية ص ١٢١، باختصار، مصدر سابق، والحديث سبق تخريجه.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجينة، الحسني الأنجري، مفسر صوفي، من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان)، له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) في أربعة مجلدات ضخام، توفي سنة ١٢٢٤هـ. انظر: الأعلام ٢٤٥/١، مصدر سابق.

...وتنبيه المغترين[١]، وكنت أنهى أولادي من الفتوحات المكية[٢]، لأن فيه عبارات لو أخذ الإنسان بظاهرها لظنها كفرا)[٣].

ثالثا: براءة الصوفية من الاعتقاد الفاسد

ولا يعتقد الصوفية المتحققون هذه العقيدة، بمعناها الفاسد، لأنها تؤدي إلى الزندقة والإلحاد، وإذا ظن البعض أن لأبي حامد الغزالي[٤]، في كتابه(مشكاة الأنوار)، كلاما يقربه قربا عجيبا من أصحاب وحدة الوجود، فقد دافع عنه د.أبو العلا عفيفي (رحمه الله)[٥][٦].

ويقول إمام عصره محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس[٧]:

دعْ وهمَ أهلِ الوَحدَةِ المُطلقَهْ * وافهمْ رُموزَ الجمعِ والتَّفرِقَة**

إلى أن قال:

ما وحَّدَ اللهَ تَعالى امرؤٌ * معْتَقِدٌ بالوَحدَةِ المُطلَقَة[٨].**

(١) للإمام عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣هـ، وقد سبقت ترجمته.

(٢) لابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ، وقد سبقت ترجمته.

(٣) النفحات الربانية ص١٢٢، مصدر سابق.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) رئيس قسم الفلسفة الأسبق، في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وكان (رحمه الله) ذا إنتاج كبير يتنوع بين المؤلّفات والمترجَمات والأبحاث العلمية المنشورة بالمجلات المتخصصة، توفِّي بالإسكندرية عام ١٩٦٦م.انظر:
https://www.hindawi.org/contributors

(٦) انظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، مشكاة الأنوار ص ١٦، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق د. أبو العلا عفيفي.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) التشرف بذكر أهل التصوف ص ١٨٢، باختصار، مصدر سابق.

وهكذا أكد الشيخ على أن عقيدة وحدة الوجود تتعلق بدلالات وأسرار اسم الله (القيوم)، ولا يراد بها اتحاد الله بمخلوقاته أو حلوله في الأجسام، وبيّن أن كتب الصوفية فيها ألغاز وإشارات، و لهم مصطلحات معينة، تواطأوا عليها فيما بينهم، لكن معانيها تخفى عن الذين لم يذوقوا أذواقهم، ويفهموا أسرارهم، وكان (رحمه الله) ينهى أولاده من قراءة كتاب الفتوحات المكية، لخوفه عليهم، من عدم فهمهم لكلامه، وهذا أسلوب في التربية والإصلاح، ينصح الشيخ فيه بالتدرج مع المريدين في قراءة كتب الصوفية، فلا ينبغي قراءة كتب الصوفية الفلاسفة في بداية الطريق.

المبحث الثالث

عناية الشيخ: أحمد رضوان بالجانب التربوي والترقي الروحي للمريدين (المقامات والأحول)

يُعرّف الطريق الصوفي بأنه عبارة عن مقامات وأحوال يمر بها السالك أثناء سيره إلى مولاه تعالى، والمقامات معناها مقام العبد بين يدي الله (ﷻ)، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله، وهي مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك.

أما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب: من صفاء الأذكار، ومن أمثلة الأحوال: المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة(١).

وللشيخ كلام راسخ في عدة من المقامات والأحوال، على الرغم من أنه لم ينتظم ذلك في الكتب التي جمعت كلامه، في هيئة باب وُسم ببيان المقامات والأحوال، وخُصص لذلك، لكنني وجدت في ثنايا أقواله دررا ساطعة ولآلئ مضيئة من الكلام حول هذه الأمور، وذلك لأن حديث الشيخ عنها في مجالسه العلمية، إنما هو حديث من رسخت قدمه في الطريق، وبانت له حقائق المعاني، وانكشفت له مكامن العلوم، وفاضت على قلبه الفيوضات الربانية، فظهرت الأسرار على لسانه.

فالمقامات والأحوال، لا يتكلم فيها حق الكلام إلا عبد ذاق حلاوتها، وشهد

---

(١) انظر: اللمع ص ٦٥، ٦٦، مصدر سابق، ومن أميز من فرق من الصوفية بين المقام والحال: الإمام محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي، حيث خصص كتابا له في هذا الشأن، وسمه بعنوان(بغية أولي الأفهام في الفرق بين الحال والمقام)، مصدر سابق.

قلبه معانيها، وتدرجت نفسه في مدارج الشهود والسمو الروحي، فإن تكلم فبعلم، وإن وصف فبمشاهدة، وإن رسم الطريق فعن معاينة، وإن تحدث عن مفاوز الطريق فإنها عن تجربة ومكاشفة.

وهذا يستشعره كل من قرأ في سيرة الشيخ (رحمه الله) الذي كان له عناية خاصة، بأهم مقصد من مقاصد بعثة النبي (ﷺ)، وهو جانب التزكية والتربية، والحديث عن أمراض النفوس، ووسائل تطهيرها من أدرانها، وترقي القلوب في مقامات القرب من علام الغيوب، لا سيما قد ندُر المتكلمون عن هذا الجانب، وقلّ رجاله في كل عصر.

ولعل من دلالات ذلك، رغبة صادقة من الشيخ، في لفت الأنظار إلى إحياء هدف مهم من أهداف وجود الطرق في التصوف، وهو جانب تربية المريدين، ومساعدتهم للتغلب على أمراض القلوب، واقتحام عقبات النفس الأمارة بالسوء، فكم انتشر الإسلام في شتى البقاع، وخرج المجاهدون في سبيل الله من هذه الزوايا والأربطة.

كما أن السالك بعد إحكامه للمقامات، تهب على قلبه أحوالا وهبية رفيعة، ونسمات روحية عالية، وهذه الأحوال لها تعلق بالعقيدة، ويحتاج بعضها إلى ضبط علمي، وقد وضحه الشيخ كما في حال الفناء الذي سيتم الحديث عنه، ولأهمية ذلك كله وضرورته في الإصلاح، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات، فإننا سوف نذكر نماذج من كلام الشيخ عن المقامات والأحوال، وطريقة معالجته لهما، فيما يلى.

المطلب الأول
مقام التوبة

بدء السلوك يكون من مقام التوبة ونهاية السالك إليها، وليس المقصود بأن السالك يبدأ بها ثم يتركها، وإنما المقصود بأن التوبة هي بداية أساسية للسالك، وأول موضع لقدمه في السلوك، ويسير بها ولا يتركها أثناء سير قلبه إلى ربه، وينتهي إليها في آخر المطاف.

ومن أصول مذهب التصوف: التوبة، كما أشار إلى ذلك سهل التستري[١] في بيان الأصول السبعة للتصوف[٢]، ولهذا يحذر مشايخ التصوف، ومنهم الشيخ، من اقتراف المعاصي ومن مصاحبة العصاة، فيقول للمريد: (إياك والدنو من المعاصي، ولا تصحب الغافلين)[٣]، لأن التخلية مقدمة على التحلية.

وينتظم معنى التوبة من أمور عديدة، منها العلم – كما أشار الغزالي[٤]– أي: معرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب[٥]، فللمعاصي شؤم على العبد، وكفى العاصي حرمانه من أن يتذوق حلاوة العبادة في قلبه، يقول الشيخ (رحمه الله): (الذنوب والمعاصي تحرم العبد لذة العبادة[٦]، ولهذا كان من علامة صدق التائب كما قال بعض السلف: (أن يستبدل بحلاوة

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) اللمع ص ٢٨٩، مصدر سابق.

(٣) النفحات الربانية ص ٢٤، مصدر سابق.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين ٤/ ٣، دار المعرفة – بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٦) فيض المنان ص ٦، مصدر سابق.

الهوى حلاوة الطاعة)[١].

كذلك من آثار الذنوب والمعاصي على العبد، حرمانه من العلم، فتجد العاصي ينام ويأخذه التثاؤب والتضجر في مجالس العلم، بسبب الأثر الخفي للذنب على القلب، وإلى ذلك يشير قول الشيخ (علامة العاصي إذا سمع علما أخذه التثاؤب والنوم)[٢].

وليست التوبة من الأمور المخير فيها العبد، إن شاء أداها وإن لم يشأ لم يؤدها، وإنما التوبة من الأمور التي أمر الله بها وأوجبها على الطائفة المؤمنة، كما في قوله (ﷻ): **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا)**[٣]، فهي واجبة على الفور، وهذا مما لا يستراب فيه[٤]، ولهذا يقول الشيخ (فإنه كلفك، وقال لك: **(وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ)**[٥].

ولا يدعو الشيخ إلى توبة الكاذبين الذين ما يفتأون يعودون إلى الذنب بعد الذنب بعد ادعائهم للتوبة، إنما يوصي بالتوبة النصوح، لأنها النافعة للعبد، المنجية له من عذاب الله، فيقول للمريدين: (أوصيكم بالتوبة النصوح والإقبال على الله – تعالى)[٦].

---

(١) محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبـــوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٥٠٥/٢، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط٢ سنة ١٤٢٦هـــ –٢٠٠٥ م، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي.

(٢) فيض المنان ص ٦، مصدر سابق.

(٣) سورة التحريم: ٨.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين ٧/٤، بتصرف يسير، مصدر سابق.

(٥) النفحات الربانية ص ٢٤، والآية من سورة الزمر: ٥٤.

(٦) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان –حياته وآثاره ص ١٢٤، مصدر سابق.

ولمّا كان رد المظالم إلى أهلها شرطا في صحة التوبة النصوح، أرشد الشيخ إلى ذلك بقوله: (إن الله لا يقبل عمل عامل حتى يرد مظالم من تعدى عليهم)[١]، لأنه لا بد للتائب من إرضاء خصومه، والخروج عما لزمه من مظالمه، فإن أول منزلة من منازل التوبة، إرضاء الخصوم بما أمكنه[٢].

ويربط الشيخ بين التوبة وبين المعرفة، فمن عرف الله لن يعصيه، ومن خاف مقامه نهى نفسه عن الهوى، يقول الشيخ (المحجوب يعصي أمرك لأنه لا يعرف قدرك)[٣]، كما استخدم الشيخ في الحث على التوبة: أسلوب الترهيب من القبر وما فيه، ويوم القيامة وأهواله، فالإنسان لا يأمن على نفسه من عذاب الله، فلم الاغترار؟!! فقال: (راقب الله في طول أنفاسك، واذكر القبر وما فيه، والحشر وما فيه)[٤]، وهي نفس فلسفة ترك التسويف التي عناها سهل التستري[٥] بقوله: (التوبة: ترك التسويف)[٦]، فمن ترك التسويف تاب إلى ربه من ذنوبه.

---

(١) النفحات الربانية ص ٢٥٧.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٢٩، مصدر سابق.

(٣) فيض المنان ص ٥، مصدر سابق.

(٤) خواطر ومعاني حول الدعاء الرضواني، ص ١٦، مصدر سابق.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) الرسالة القشيرية ص١٣٠.

المطلب الثاني
مقام الخوف

لمَّا كان الخوف اسما لحقيقة التقوى، والتقوى معنى جامع للعبادة[١]، عرَّف الشيخ التقوى لمريديه، بأنها الخوف من الله (ﷻ) فقال: (تقوى الله، هي الخوف منه، والتزام شريعته وعبادته تعالى، لأنه أهل للعبادة والتعظيم)[٢].

والخوف: سوط يسوق الله به عباده إلى العمل بأوامره، واجتناب نواهيه، لكن إن زاد في القلب، انقلب إلى يأس من رحمة الله وقنوط من عفوه، فالعبد الخائف من ربه، يسارع إلى فعل ما يرضي عنه مولاه، وهو بعيد عن جميع مساخطه، وإلى ذلك يشير قول أبي حفص[٣]: (الخوف هو سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه)[٤]، ويقول ابن عطاء الله[٥]: (لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق)[٦].

---

(١) قوت القلوب ٣٧٥/١، مصدر سابق.

(٢) النفحات الربانية ص ٢١٤، مصدر سابق.

(٣) أبو حفص النيسابوري، واسمه عمرو بن سلم، ويقال عمرو بن سلمة، وهو من أهل قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخارى، وكان أحد الأئمة والسادة، (ت ٢٧٠هـ). انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص١٠٣، مصدر سابق.

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٦٢، مصدر سابق.

(٥) تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندراني، تلميذ الشيخ: أبي العباس المرسي، كان ينتفع الناس بإشاراته، مات كهلا، سنة (٧٠٩هـ)، وكانت جنازته مشهودة.انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء ص ٤٢١، مصدر سابق.

(٦) انظر: ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، شرح ابن عباد النفري الرندي ص ٧٨، مركز الأهرام – القاهرة، ط١ سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، دراسة: محمد عبد المقصود هيكل.

وعلى نفس النهج يقول الشيخ (رحمه الله): (الخوف المراد هو الخوف الذي يسوق العبد إلى الطاعة، وليس الخوف الذي يوقعه في اليأس من رحمة الله والقنوط منه[1].

ولهذا قال علي (رضي الله عنه) **لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه:** يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك[2].

وتطرق الشيخ أثناء حديثه عن الخوف إلى الوجل، ولّما كان الخوف لعامّة المؤمنين، والخشية للعلماءِ العارفين، والهيبةُ للمحبّين، والوَجَل للمقرَّبين[3]، أشار إلى أن الوجل درجة أعلى من الخوف فقال: (الخوف أقل من الوجل، والوجل ينسيهم كل عمل عملوه من الصالحات، **(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)**[4]، أي يخافون من ربهم خوفا ينسيهم أعمالهم الصالحة)[5].

ومن الشواهد على ذلك ما رواه ابن ماجة في سننه – بسنده –عن عائشة– (رضي الله عنها)، قالتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ **(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ)**[6]، أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ

---

(١) النفحات الربانية ص ١٠٤، مصدر سابق.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/١٤٥، مصدر سابق.

(٣) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/٥٤٦، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، المحقق: محمد علي النجار.

(٤) سورة المؤمنون: ٦٠.

(٥) النفحات الربانية ص ١٤٧، مصدر سابق.

(٦) سورة المؤمنون: ٦٠.

مِنْهُ»[١].

ووضح الشيخ للمريدين بأن الخوف ينقسم إلى قسمين:

الأول: خوف جلاله وعظمته، و هو خوف الأنبياء وكمل الأولياء.

الثاني: خوف ذنوب، وهو لا يمنع من الرجاء فيه[٢].

ويرى بأن خوف الإجلال أعظم من الخوف من الذنوب، وجعل منه قول أبي بكر: (ليتني شجرة فأوكل، وقول عمر: ليت أم عمر لم تلد عمر، ليتني كنت شاة سمنني أهلي وأكلوني، قال: وذلك لمعرفتهم بجلال ربهم ورهبتهم إياه وما له عليهم من حقوق، وخوف الإجلال أعظم من الخوف من الذنوب[٣].

فخوف أبي بكر وعمر ما كان خوفا من تغيير الحال وتبديل المقام، كيف وهما من العشرة المبشرين بالجنة، على لسان رسول الله (ﷺ)؟!!، لكن كان ذلك منهما، خوفا من جريان المخالفات عليهما، إجلالا لله –تعالى، وتعظيما لقدره، ورهبة له، وحياء منه، بأنهم أجلُّوا الحق أن يخالفوه وإن لم يعاقبهم.

كما قال عمر (رضي الله عنه)**:** نعم المرء صهيب، لولم يخف الله لم يعصه[٤].

يعني أن صهيبا ليس يترك المعصية لله خوف عقوبته، ولكنه يتركها إجلالا له، وتعظيما لقدره، وحياء منه[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي عن العمل، ٢/ ١٤٠٤ رقم ٤١٩٨، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وقال محققه: قال الألباني: حسن.

(٢) النفحات الربانية ص ٢٥٤، مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق من نفس الموضع.

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٦، مصدر سابق.

(٥) المصدر السابق من نفس الموضع.

المطلب الثالث
مقام الرجاء

لا يريد الشيخ من مريديه أن يكون عندهم رجاء في رحمة الله، دون عمل، ففرْقٌ بين الرجاء والتمني، فأهل التمني لا يقودهم التمني إلى العمل، فهم يرجون رحمة الله لكن بلا عمل، أما الراجون الصادقون فإنهم يبتعدون عن المعاصي، ويستكثرون من الطاعات، كما قال تعالى: (**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**)[١]، فالرجاء الحقيقي يحركك إلى الطاعات كما قال النصر أباذي[٢]، ويشير الشيخ إلى ذلك بقوله: (الرجاء هو تنزيه القلب عن غيره –تعالى، وحفظ الجوارح من المخالفات، ، وقد ذكر الله صفات أهل الجنة في الآية الكريمة فقال: (**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**)[٣]، فليست الجنة سهلة المنال، إن لها شروطا وضعها الله لمن يريدها)[٤].

ويعد الصوفية من الاغترار بالله، الإصرار على الذنب مع رجاء العفو، قال يحيى بن معاذ[٥]: (من أعظم الاغترار عندي، التمادي في الذنوب مع رجاء

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) الإمام أبو عبده محمد بن يوسف السنوسي، المنهج السديد في شرح كفاية المريد ص ٤٨٤، دار الهدى – الجزائر، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق: الأستاذ مصطفى مرزوقي، وقد سبقت ترجمة النصر أباذي.

(٣) سورة الرعد: ٢٠-٢١.

(٤) النفحات الربانية ص ٦٧، مصدر سابق.

(٥) أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَي بْن معاذ الرازي الواعظ، نسيج وحده فِي وقته، لَهُ لسان فِي الرجاء خصوصا وكلام فِي المعرفة، خرج إِلَى بلخ وأقام بِهَا مدة ورجع إِلَى نيسابور، (ت٢٥٨هـ). انظر الرسالة القشيرية ص ٤٣، مصدر سابق.

العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله (ﷻ) مع الإفراط)[1]، وقال ابن عطاء الله[2]: (الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية)[3].

وتوجد آيات كثيرة في القرآن الكريم، ورد الخوف فيها مقترنا بالرجاء مثل قوله تعالى: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)**[4]، فالعبد لا بد أن يكون خائفا راجيا، خائفا من عذاب الله، فلا يحمله ذلك على معصيته، راجيا في ثوابه فلا يقنط من رحمته.

وإذا غلب الرجاء على الخوف فسد الوقت كما قال أبو سليمان الداراني[5]، لأن الوقت هو المحافظة على الحال، الذي يبقى بدوام الخوف، ومن وجه آخر إذا غلب الخوف على الرجاء فقد التوحيد، لأن شدة الخوف بسبب اليأس والقنوط من روح الله شرك، لذلك أكمل الحالات: أن يكون الخوف والرجاء متساويين[6].

ولهذا يوصي الشيخ المريدين قائلا: (وبالاعتدال في الرجاء والخوف يقطع

(١) إحياء علوم الدين ٤/١٤٤، مصدر سابق.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الحكم العطائية ص ٦٠، مصدر سابق.

(٤) سورة الإسراء: ٥٧.

(٥) كشف المحجوب ص ١٠٤، مصدر سابق، وقد سبقت ترجمة الإمام أبي سليمان الداراني.

(٦) المصدر السابق من نفس الموضع.

الطريق إلى الله)[١]، وينقل الشيخ كلام الإمام الشافعي[٢]: (الرجاء والخوف كجناحي الطائر)[٣]، فلا غنى للسالك عن توازنهما في قلبه، لكن يستحب للعبد طول عمره أن يغلب عليه الخوف، ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت، لقوله (ﷺ): (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) [٤]، وهنا ينقل الشيخ للمريدين قول الإمام مالك[٥]: (في حالة الصحة قدم الخوف من الله، وفي حالة المرض قدم الرجاء)[٦].

---

(١) النفحات الربانية ص ٢١٨، مصدر سابق.

(٢) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الحجازي المكي، أجمعوا على أنه ولد سنة خمسين ومائة بغزة، وقيل: بعسقلان، وهما من الأرض المقدسة التي بارك الله فيها، وتوفى بمصر (٢٠٤هـ). انظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات ١/٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٣) النفحات الربانية ص ١٢٤، مصدر سابق.

(٤) الشيخ: محمد خليل الخطيب النيدي، بداية التعرف في شرح نُقاية التصوف ص ٢٣، بدون دار نشر سنة ٢٠٠٦م، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله – تعالى– عند الموت ٤/٢٢٠٥ برقم ٢٨٧٧.

(٥) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الإمام الحافظ، فقيه الأمة، شيخ الإسلام أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، (ت١٧٩هـ). انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٤ وما بعدها، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١ سنة ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

(٦) النفحات الربانية ص ١٢٤، مصدر سابق.

المطلب الرابع
مقام الشكر

اهتم الشيخ ببيان أن الشكر ليس كلمة تقال من طرف اللسان، وإنما الشكر هو تقوى الله (ﷻ)، فيكون شكره بفعل طاعاته واجتناب منهياته، وإلى ذلك يشير قول الشيخ للمريدين: (كونوا من الشاكرين، ولا يكون العبد شاكراً إلا إذا كان دائم الذكر لله، ودائم الحضور لله)[١].

ومن مؤكدات عناية الشيخ بشكر الجوارح، نقله في مجالسه كلام الجنيد[٢] قال: (وقال رجل للجنيد: متى أكون ذاكراً؟ قال له: إذا رأيت الله في كل نعمة، ومع كل نعمة، وبعد كل نعمة)[٣]، أي فلا تعصي الله بها، لأن الجنيد سئل عن الشكر فقال: (أن لا يعصى الله بنعمه)[٤]، وهذا هو معنى شكر الجوارح.

والإقرار بالنعم أنها من الله المنعم، وعدم عصيان الله بها، هو أول الشكر كما قال أبو طالب المكي[٥]: (أول الشكر معرفة النعم أنها من المولى وحده لا شريك له فيها، ولا ظهير له عليها، وأن لا تعصيه بنعمة من نعمه فتجعلها في سبيل الهوى)[٦]، وأشار الشيخ: عبد القادر الجيلاني[٧] إلى ذات...

---

(١) النفحات الربانية ص ٢١٦، مصدر سابق.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) النفحات الربانية ص ٢٩٠.

(٤) الكواكب الدرية ٥٧٤/١، حرف الجيم، مصدر سابق.

(٥) محمد بن علي بن عطية، الحارثي المكي، صاحب كتاب قوت القلوب؛ كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها، (ت٣٨٦هـ)، انظر وفيات الأعيان ٣٠٣/٤، مصدر سابق.

(٦) قوت القلوب ٣٤٢/١، مصدر سابق.

(٧) سبقت ترجمته.

... المعنى[١].

وتحدث الشيخ مع المريدين، عن أعلا مقامات الشكر وهو شهود النعمة والفضل لله فيها، حتى وقت البلاء والمصيبة، حينما يقابل ذلك المسلم بالصبر والرضا والشكر، فيقول ناقلا كلام بشر الحافي[٢]: (قال رجل لبشر الحافي: متى أكون شاكراً؟ فقال له: إذا عرفت أن الأمر لله وحده، واستعذبت البلاء فيه)[٣].

ويوضح أبو طالب المكي[٤] ذلك قائلا: (من أعلا مقامات الشكر: مقام شكور، وهو الذي يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللأواء، ولا يكون كذلك حتى يشهد ذلك نعما توجب عليه الشكر لصدق يقينه وحقيقة زهده، وهذا مقامٌ في الرضا وحالٌ من المحبة، وبهذا الوصف ذكر الله – تعالى – نبيه نوحا (عليه السلام)، في قوله: **(إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)** [٥].

---

(١) الإمام عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني ص ١١ باختصار، مصدر سابق.

(٢) بشر بن الْحَارِث بن عبد الرَّحْمَن بن عَطاء بن هِلَال بن ماهان بن عبد الله الحافي، كنيته أَبُو نصر، أَصله من مرو، سكن بَغْدَاد وَمَات بهَا، وَصَحب الفضيل بن عِيَاض، وكَانَ عَالما ورعا ـ (ت٢٢٧ هـ)، وَأسْنَدَ الحَدِيث. انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ٤٣، ٤٤، مصدر سابق.

(٣) النفحات الربانية ص ٢١٦، مصدر سابق.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) أبو طالب المكي، قوت القلوب ١/ ٣٤٥، مصدر سابق، والآية من سورة الإسراء: ٣.

المطلب الخامس
مقام التوكل

يعرف الشيخ (رحمه الله) **التوكل بأنه:** (ثبات القلب تحت جريان قضاء الله، ولو اختلج القلب شيء أو داخلته أشياء نقص)[١].

والشيخ يتحدث هنا مع المريدين، عن التوكل على الله – تعالى–بعد الأخذ بالأسباب المشروعة، فما دام اتخذ العبد ربه وكيلا، ووثق في كمال قدرته، وأيقن بقيوميته على خلقه، وفوضه في شئونه الخاصة والعامة سواء منها ما يخص أموره الإيمانية أو الدنيوية، فإن ذلك يستلزم أن يكون القلب بالله مطمئنا، وبربه واثقا، وبقضائه راضيا، كما قال بشر الحافي[٢]: (يقول أحدهم توكلت على الله، ويكذب على الله – تعالى، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به)[٣].

وينقص كمال التوكل وتقل درجاته في القلب بقدر ما يدخل عليه من الأشياء الداعية إلى القلق النفسي، والاضطراب العصبي، و يا حسرتي على من يستريح قلبه بعد اعتماده على ذوي المناصب العالية وأهل الوجاهة في المجتمع لقضاء حاجته، وإذا وكل ربه في نفس الحاجة لقضائها داخل قلبه الشك والارتياب، فمسكين من هذا حاله، لأنه قام بالتسوية بين الخالق والمخلوق، وبين المحدث والحادث، وبين المصنوع والصانع، وبين الحي الذي لا يموت والحي الذي يموت، وبين من يدبر الأمور وبين من لا يملك لنفسه –فضلا لغيره– نفعا ولا ضرا.

---

(١) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١٥٢، مصدر سابق.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٠١، مصدر سابق.

ولا يفهم من كلام الشيخ أنه ممن يرفض الأخذ بالأسباب المشروعة، أو أنه يدعو المريدين إلى توكل يشوبه تواكلا وكسلا وخمولا ودعة، كلا، بل دعوة الشيخ خاصة بقضية دقيقة تتعلق بمقام التوكل، لمن أحب أن يرسخ قدمه فيه، ويتحقق قلبه به، ألا وهي عدم ركون القلب إلى الأسباب، حال أخذ العبد بها، ويقول الشيخ عن ذلك بكل وضوح للمريدين: (إذا أقامكم في الأسباب فلا تقفوا معها، وكونوا معه، فالله قادر على أن يسلبكم الأسباب، ومن وقف مع السبب حجب عن الله، ليس معنى ترك الأسباب عدم العمل، بل تمسكوا بالأسباب ولكن مع رب الأسباب)[1].

ويجعل ذلك من صفات المؤمن، فيقول: (فالمؤمن لا يقف إلا مع رب الأسباب، ولا يركن للسبب، إنما يركن لله، والله لو اجتمع الخلق كلهم على أن يجعلوا للقمح سنابل، وفي السنابل حبا ما أمكنهم)[2].

ومن المعلوم يقينا أن (كل مطلب أنت طالبه بنفسك، أو بحادث من الحوادث مثلك، على سبيل الاعتماد عليه، فلست تظفر به، ولا عليك يتيسر، وكل مطلب أنت طالبه بمولاك المنفرد بالملك وحده، صادقا في الاعتماد عليه، فأنت جدير بالفوز به، وليس عليك يتعسر)[3].

فالأخذ بالأسباب واجب، ولكن يجب تعلق القلب برب الأسباب، لأنه قادر على سلبها، وقادر كذلك على إيجاد الأشياء بدون أسبابها كما خلق آدم بدون أب وأم، وحواء بدون أم، وخلق عيسى بدون أب، وكما أنجبت زوج إبراهيم (عليه السلام) على الرغم من طعنها في السن هي وزوجها، ورزق زكريا الولد بعد أن اشتعل

---

(١) انظر: النفحات الربانية ص ٦٨، ٦٩ باختصار، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥.

(٣) المنهج السديد في شرح كفاية المريد ص ٤٦٨، مصدر سابق.

رأسه شيبا وكانت امرأته عاقرا، و من هذا الجنس ما يجريه سبحانه من الأمور الخارقة من المعجزات والكرامات على يد أنبيائه وأوليائه، فإنها لا تجري على سنن الأسباب والعادات الجارية.

ويؤكد القشيري[١] على أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب قائلا: (التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعدما تحقق بأن التقدير بيد الله، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتقديره)[٢].

وألمح الشيخ إلى أن من توكل على الله لا يمنع الزكاة، ولا يترك مسكينا دون أن يصله، فالإنفاق من ثمرات التوكل[٣]، والتوكل ثمرة المعرفة الحقة، فمن عرفه تيقن أنه الرزاق، وأنه يرزقه بقوته الضروري[٤]، وهذه المعرفة تمنع القلب من الخوف من الرزق، لأن المتوكل لا يرى خازنا للرزق إلا مولاه، كما قال الشيخ: أبو يزيد البسطامي[٥]: (حسبك من التوكل أن لا ترى لنفسك ناصرا غيره، ولا لرزقك خازنا غيره، ولا لعملك شاهدا غيره)[٦].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢٠١، مصدر سابق.

(٣) النفحات الربانية ص ١٤٨، مصدر سابق.

(٤) كشف المحجوب ص ١٠٦، مصدر سابق.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) المجموعة الكاملة لأبي يزيد ص ٨٤، مصدر سابق.

المطلب السادس
حال الفناء

عرف الشيخ الفناء للمريدين، بأنه (قطع العلائق، وقطع رؤية الأعمال)[١]، والمقصود بقطع العلائق: فطم القلب عن جميع متعلقاته بالدنيا وشهواتها، وعن جميع ما يعوق سيره إلى مولاه، ومعنى قطع رؤية الأعمال: عدم رؤية أنك فاعلها على الحقيقة، وتنسى فضل من أعانك عليها ووفقك لها، فتعجب بعملك فتخسر، وتغتر بحسنتك فتهلك، وللشيخ عبارة دقيقة حول ذلك قال فيها: (خذ ما شئت بربك من ربك، وأعط ما شئت بربك لربك)[٢]، ولله در يحيى بن معاذ الرازي[٣] فقد كان من دعائه: (إلهي وسيدي وأملي، ومن به يتم عملي)[٤].

وتحدث الشيخ (رحمه الله)، مع المريدين، عن علاقة الفناء بالتوحيد، فجعل خلاصة التوحيد الحقيقي وثمرته هي الفناء، ورسم طريق الوصول إليه باتباع النبي (ﷺ)، فقال: (لا يتحقق أثر لا إله إلا الله للمؤمن الذي يوحد الله بها ويرددها كثيرا إلا إذا قالها بحقها، وهو أن يكون مستقيما في دنياه، متحليا بكل ما تحلى به رسول الله (ﷺ) من خلق كريم وعبادة كاملة لله – تعالى، وهجرة من كل نقص إلى كل كمال، خالصة لوجه الله، وهذا هو توحيد عوام المؤمنين وخواصهم، أما خواص الخواص فيرون أن حقها أكثر من ذلك، إذ يفرضون على العبد الدخول في مرتبة الفناء عن النفس بالكلية، للوصول إلى الله، ثم البقاء به – تعالى.... ولا يتم لعبد الوصول إلى هذه المرتبة إلا إذا تحقق بمحمد

---

(١) النفحات الربانية ص ٢٥١، مصدر سابق.

(٢) فيض المنان ص ٧، مصدر سابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) اللمع ص ٣٣١، مصدر سابق.

رسول الله، حبا واتباعا، وتمثلا في القول والفعل والحال[١].

وفي موضع آخر يقول: (لا إله إلا الله، تُخرج الحظوظ من البشرية، فيصير اختيار المرء اختيار ربه، ويذهب السوي، و تطرح الأغيار)[٢].

والفناء الذي يقصده الشيخ (رحمه الله) هو الفناء عن حظوظ النفس وشهواتها ورغباتها، بحيث لا يكون في القلب مثقال ذرة لغير الله، وهو ما يسمى بالفناء عن إرادة السوي، وفيه تصير إرادة المؤمن من إرادة مولاه، وحبه من عين ما يحب محبوبه، فلا يحب إلا ما أحب، ولا يريد إلا ما أراد، ولا يفعل إلا ما أمر، ولا يكون إلا حيث طلب.

والشيخ يطلق على هذا التوحيد، كما مر آنفا، بأنه توحيد خواص الخواص، وهو نفس ما ذكره الجنيد[٣] حينما سئل عن توحيد الخاصة فقال: (أن يكون العبد شبحا بين يدي الله (عز وجل)، تجري عليه تصاريف تدبيره)[٤]، لأن هذا لا يكون إلا بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له، بذهاب حسه وحركته لقيام الحق له فيما أراد الله منه[٥].

وأشار له أبو العباس السياري[٦] **بقوله:** (التوحيد أن لا يخطر بقلبك ما

---

(١) فيض المنان ص ٥١، ٥٢ باختصار.

(٢) النفحات الربانية ص ١٥٤، مصدر سابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) اللمع ص ٤٩، مصدر سابق.

(٥) المصدر السابق من نفس الموضع.

(٦) اسمه القاسم بن القاسم بن مهدي بن سيار، كان من أهل مرو وشيخهم، وأول من تكلم عندهم من أهل بلدهم في حقائق الأحوال، (ت ٣٤٢هـ)، وأسند الحديث. انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ٣٣٠، مصدر سابق.

دونه)[١]، كما أشار إليه شيخ الإسلام الهروي[٢] في تفسير الفكرة في عين التوحيد بأنها اقتحام بحر الجحود[٣]، لأن التوحيد الصحيح عنده لا يكون إلا بعد فناء الفكر والمتفكر[٤].

وجعل الشيخ مرتبة الفناء أو من الممكن تسميتها بالعدمية – مستعيرا ذلك من قوله (بأن العبد لا يكون عبدا حتى يكون عدما)[٥]– هي مفتاح الدخول على الله، لأن العبد إذا وُجدت في قلبه مشتهيات من متع الدنيا و كان فيه تعلُّق لغير الله، فإنه لن يلج هذه المرتبة حتى يلج الجمل في سم الخياط، فلا بد من قطع الشهوات وجذورها عن النفس، بحيث لا يتعلق القلب إلا بما فيه مادة حياته، ولهذا ينصح المريدين قائلا: (لا دخول على الله مطلقاً إلا من باب الفناء، فان العبد لا يصل إلى ربه طالما له وجود، والمقصود بالوجود هنا وجود حظوظ أو

---

(١) كشف المحجوب ص ١٣٥، ١٣٦، مصدر سابق

(٢) شيخ الإسلام الإمام القدوة، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي، مصنف كتاب منازل السائرين وغيره، وشيخ خراسان من ذرية صاحب النبي (ﷺ) أبي أيوب الأنصاري، (ت ٤٨١هـ). انظر سير أعلام النبلاء ٣٦/١٤ وما بعدها، مصدر سابق.

(٣) الإمام أبو إسماعيل الهروي، منازل السائرين إلى الحق المبين، شرح عفيف الدين سليمان بن على التلمساني، ص ٨٢، أعده للنشر / عبد الحفيظ منصور، دار التركي للنشر، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٤) المصدر السابق من نفس الموضع.

(٥) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١١١، مصدر سابق، وليس المقصود بالعدم الفقر، وإنما كما قال الشيخ (رحمه الله): (بحيث لا يكون له حراك أمام حضرة الله، ولا ينازعه ولا يطلب سواه، و ما دام العبد له شهوة فهو مقطوع عن ربه). انظر المصدر السابق من نفس الموضع.

مشتهيات لغير الله في قلبه)[1].

وهذا الفناء الذي تحدث عنه الشيخ، مستنبط من محبة الله ورسوله ومقدار زيادتها في القلب، فالمؤمن يحب الله ورسوله أكثر من أي شيء آخر في هذه الدنيا، من نفسه أو ماله أو ولده، وعلى قدر الحب يكون الفناء في مراد المحبوب، وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[2]، وقد قال الشيخ عن ذلك: (من واجب المؤمن أن يفنى في الحق، وقد كان الصحابة يؤثرون الرسول (ﷺ) وحبه على أرواحهم وأولادهم، خرجوا في أُحُد لأبنائهم وآبائهم يقاتلونهم على الشرك، وجلد الفاروق ابنه لما سكر)[3].

ونود الإشارة إلى أن هذا الفناء الذي أشار الشيخ إليه، ودعا – غير مرة- إليه، مريديه، هو القناء الحقيقي الوحيد، المطلوب من جهة العقيدة، فلا بد للمؤمن من أن يفنى بعبادة ربه عن عبادة ما سواه من المخلوقات، ويفني بالتوكل والرجاء فيه وحده عما سواه من الخلق.

فيفني في مراد ربه، ويبقى به، فلا يعيش إلا وفق مراده، ولا يحب إلا من أحب، ولا يبغض إلا من يبغض، ولا يقوم إلا بأمر ربه، ويؤثره عما سواه، ومن وصل إلى هذه الحالة من العرفان، فقد فنى عن هواه، وبقي بمراد مولاه، وهذا لا يكون إلا للموحد الحق، الذي كمل إيمانه، وتحقق توحيده، وصدق يقينه، ووصل إلى مقام الإحسان، وارتقى إلى منازل المقربين.

---

(١) النفحات الربانية ص ٢٢٧باختصار، مصدر سابق، والحديث سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: حُبُّ الرَّسُولِ (ﷺ) مِنَ الإِيمَانِ ١/ ١٢ برقم ١٥.

(٣) النفحات الربانية ص ٣١.

المطلب السابع
الجمع وجمع الجمع

يعرف الشيخ حال الجمع للمريدين، بأنه (حضورك مع الله، ومقام جمع الجمع: فناؤك فيه)(١).

ومعنى كلامه (رحمه الله) عن الجمع بأنه حضورك مع الله، أي مشاهدتك بأن الكون بيده، والأمر بيده، والتدبير بيده، فلا تتحرك ورقة في شجرة إلا بمشيئته، ولا تسقط إلا وفق إرادته، وكما أن العبد في مقام الفرق يشهد نفسه وحاله وطاعاته وأعماله الصالحة، وما هو فيه من شعور بالبلاء، أو المرض، أو الفقر، فإنه في حال الجمع يغيب عن ذلك كله، ويكون مستغرقا في الفاعل فقط، في من أقامه في هذه الأعمال، وأعانه، وأعطاه، وأطعمه وسقاه، فيكون في حالة الاستغراق التام في المنعم عن النعمة، وفي المعطي عن العطية، وفي من أعانه على الطاعة عن الطاعة، وفي من وفقه للتوبة عن التوبة، وهكذا، ولهذا تجد العبد في مقام الفرق ربما شعر بألم المرض، وفي حال الجمع يستعذب المرض، وفي حال الفقر، ربما تضجر وتسخط، وفي حال الجمع يعيش جنة الرضا على الرغم من قلة ذات يده، ففي الجمع يستوي في قلبه المنع والعطاء، ويتساوى الذهب والتراب.

وفوق ذلك منزلة جمع الجمع، وهي على حد تعبير الشيخ مرحلة فناء العبد في الله، واستهلاكه فيه، فلا يشعر العبد بسواه، عندما تهب عليه نسمات الحقيقة وتجليات الحق.

وكلام الشيخ خرج من آنية أئمة الصوفية الكبار وأوعيتهم في هذا الشأن،

---

(١) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١٢٢، مصدر سابق.

فمشارب القوم واحدة، وكلها تسقى بماء واحد، مهما اختلفت الأزمنة والبيئات، وتفاوتت السنين، وتعاقبت الحقب، ولننقل كلام الإمام القشيري[١] (رَحِمَهُ اللَّهُ) الذي يقول فيه: (من أثبت نفسه، وأثبت الخلق، ولكن شاهد الكل قائما بالحق، فهذا هو جمع.

وإذا كان مختطفا عن شهود الخلق، مصطلما عن نفسه، مأخوذا بالكلية عن الإحساس بكل غير، بما ظهر، واستولى من سلطان الحقيقة، فذاك جمع الجمع. فالجمع: شهود الأغيار بالله، وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله (عَزَّ وَجَلَّ)، عند غلبات الحقيقة)[٢].

وأصدقاء الشيخ ذكروا عنه أنهم كانوا يرونه دائما مائلا إلى الله، راغبا في شهوده عن شهود كل شيء[٣].

ولا شك أن كل حال سني، يناله المقربون، فإن للأنبياء والمرسلين منه النصيب الأوفى، والقدح المعلى، فهم عند الله – تعالى- المصطفوْن الأخيار، ولهذا يرى الشيخ بأن مقام المشاهدة الدائمة المتزايدة في كل نَفَس، إنما هو للأنبياء والمرسلين- عليهم الصلاة والسلام[٤]، وفي حالة الشهود يفني المحب عن جميع المنازل والمقامات، وعن نفسه وعن كل شيء سوى الله، ويُرزق في شهوده أذواقا عرفانية لا يعلمها إلا الله، لكن (إذا اغتر بعض أهل هذا المقام بلباس نعوت القدس، شطح كما شطح قوم كثير من أهل هذا المقام، ولكن ثبت

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٠١، مصدر سابق.

(٣) أ/ أحمد عبد الملك، المدرسة الرضوانية في الأحوال الربانية والأسرار الإلهية ص ٣٦، مطبعة الأهرام التجارية سنة١٣٩٢هـــ- ١٩٧٢م.

(٤) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان- حياته وآثاره ص ٦٩، مصدر سابق.

نقصهم عند الكمل، لعدم ملاحظتهم رسم العبودية)[١].

والمقصود من نقصهم لعدم ملاحظتهم رسم العبودية، هو وقوفهم عند تجلي الأفعال، أي ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى، فإذا ثبت السالك، وأقام الشريعة على نفسه مع شهود أن المحرك والمسكن هو الله، ترقى من هذا التجلي الخطِر إلى تجلي الأسماء والصفات، وإن لم يثبت تزندق وطُرد من الطريق[٢]، أو ربما قُتل، كما ورد في سيرة الحلاج[٣] أن سبب قتله أنهم وجدوا بالدينور كتابا بخطه عنوانه: (من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان)، فوُجّه إلى بغداد، فأُحضر وعُرض عليه، فقال: خطي، فقالوا: أتدعي الربوبية؟ قال: لا، ولكن هذا عين الجمع، ما الفاعل إلا الله وأنا، فاليد آلة[٤].

ولهذا كان فوق حال جمع الجمع مقاما أعلى منه، وأرفع وأجل، وهو أن يكون العبد متقيدا بأوامر الشريعة في جميع أحواله، فلا يقول كلاما ظاهره مخالف للشرع، إلا إذا غلب عليه الحال، وسلب الوجد العقل، بدون تكلف منه ولا عناء، فإنه معذور، وكلامه في حال سكره يُطوى ولا يُروى.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشيخ كان له اهتمام خاص بالمريدين، وتربيتهم تربية ربانية، ومساعدتهم في اقتحام عقبات النفس الأمارة بالسوء، لأنه عامل كبير من عوامل إصلاح التصوف، الذي يؤثر في إصلاح المجتمع، فكان (رحمه الله) يدعوهم إلى التوبة والتخلص من المعاصي، ورد المظالم إلى أصحابها،

---

(١) منازل السائرين إلى الحق المبين، شرح عفيف الدين سليمان بن علـــى التلمـــساني، ص ٥١٦، مصدر سابق.

(٢) تحفة السالكين ودلالة السائرين ص ١٨٨، مصدر سابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية حرف الحاء ٢/ ٦٩، مصدر سابق.

والخوف من الله – تعالى، بدون قنوط منه، والرجاء المقرون بالعمل، وشكره سبحانه على نعمه، بشكر الجوارح، وهو أن لا يُعصى الله بنعمه، والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب، من دون اعتماد القلب عليها.

كما أشار الشيخ إلى أن المريد إذا أحكم المقامات، تعبدا وإخلاصا، وهبه الله أحوالا عجيبة، تهب نسماتها على قلبه، ويستنشق عبيرها روحه، وذلك مثل حال الجمع وجمع الجمع، فيرى السالك أن الكون كله قائم بالله – تعالى، فيكون مع الناس ظاهرا، ومع ربه باطنا، ولا يرى لنفسه منة في عمل ولا عطاء، لأن الأمور من الله وبالله، وفي نفس الوقت وصى المريدين بأن لا يقولوا كلاما مخالفا لظاهر الشريعة، صونا لها، لئلا ينالهم أذىً، مثل ما نال بعض الصوفية الذين شطحوا في أقوالهم.

كما قام الشيخ بتصحيح معنى حال الفناء، وضبطه ضبطا عقائديا دقيقا، وذلك حينما أشار إلى أن المقصود به (الفناء عن إرادة السوي)، بأن تكون إرادة العبد من إرادة مولاه، ووضح أن العبد لا يصل إلى ربه طالما له حظوظ أو مشتهيات لغير الله في قلبه، وهذا خلاصة التوحيد الذي جاء به أنبياء الله ورسله (عليهم السلام).

المبحث الرابع

نقد الشيخ: أحمد رضوان بعض مظاهر التصوف المنحرف وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن التصوف

منذ القرن الثالث الهجري وكبار مشايخ التصوف، يحذرون من أدعياء التصوف، الذين اتخذوا من التصوف سببا لجاه أو نفوذ أو مال أو وجاهة اجتماعية، ومثلهم في الحق كمثل قطاع الطرق يستميلون بعض الراغبين في سلوك طريق الله، فيصرفونهم عن الطريق الجاد المستقيم وعن التصوف الصحيح إلى أفعال وأقوال ابتدعوها، وإن تزيوا بزي الصوفية وتحدثوا بكلام ككلامهم.

ونرى أن كثيرا من الانتقادات التي توجه إلى التصوف في كل عصر إنما هي طعن في أقوال وأفعال هؤلاء الشرذمة المدعين زورا أنهم من الصوفية، وهم في الحقيقة لم يشموا رائحة الطريق ولم يسلكوه، وإن زعموا ذلك.

تجد بعضهم يقول عبارات غير مفهومة وغير منضبطة مع الشريعة أو مع العقل، ويظن الناس أن ذلك الشخص من الأولياء، يفسر آيات القرآن بهوى النفس لجذب العامة وهو شيطان اتبع هواه، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من سمى نفسه بقطب الأقطاب وغوث الأولياء، وهو لم يشم رائحة الطريق، ولكنها أسماء أطلقوها على أنفسهم، تجذب العامة وتستهويهم، وينسبون أنفسهم إلى التصوف والتصوف منهم براء، ويعدون أنفسهم من أهل الله وأوليائه وهم من أولياء الشيطان(١).

---

(١) انظر: دكتور مستشار/ محمود أبو الفيض – شيخ السادة الفيضية الشاذلية، مقال في مجلة التصوف الإسلامي بعنوان (تجديد الخطاب الصوفي (٨)) ص ٩، عدد ٤٩٨، جمادى ثان ١٤٤١هـ – فبراير ٢٠٢٠م.

وقد ذكر الإمام الشعراني[1] أن (أكثر من يقع في خيانة العهد، المتصوفة الذين لا قدم لهم في الطريق، فربما رووا عن رسول الله ما ليس من كلامه، لعدم ذوقهم الذوق الذي يجعل لهم فرقانا يميزون به بين كلام النبوة و كلام غيرهم، ولو أنهم كانوا من العارفين لعرفوا كلام النبوة وميزوه عن غيره، فإن لامعة نور النبوة لا تخفى على من في قلبه نور)[2].

وقال بعض الصوفية: (ما زالت الصوفية بخير ما تنافروا، فإن توافقوا فلا خير فيهم)[3]، والمراد بالتنافر- في حقهم- التناصح، وإنكار بعضهم على بعض إذا رأى من أحد عيباً، فإن سكتوا عن بعضهم، وتوافقوا على مساوئ بعضهم بعضاً، فلا خير فيهم[4].

ولهذا فإنه من أجل تصحيح مسار التصوف، وإدراك أهمية علم التصوف، وشرفه، واستشراف منزلته، قام أئمة الصوفية أنفسهم، في شتى الأزمنة، بنقد الأشياء الخارجة عن نطاق الشريعة، وبينوا أنها ليست من التصوف الصحيح، وذلك قبل أن ينقدها غيرهم، ومن هؤلاء الأفذاذ الذين قاموا بنقد بعض مظاهر التصوف المنحرفة، لتصحيح المسار: شيخنا أحمد رضوان (رحمه الله)، ونذكر بعضا من نقده وتصحيحه للمفاهيم الخاطئة عن التصوف فيما يلي.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الإمام عبد الوهاب الشعراني، موازين القاصرين من شيوخ ومريدين ص ١٢، مصدر سابق.

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣/٥٨٢، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

(٤) المصدر السابق من نفس الموضع.

المطلب الأول
التصوف وترك المعيشة

من المآخذ التي أخذها المنكرون على التصوف، دعواهم بأن بعض شيوخه يدعون إلى التواكل والكسل والفقر وعدم العمل وترك الدنيا وعدم التكسب، وبالطبع فإن هذا فيه سوء فهم لكلام المشايخ في هذه المسائل، لأنهم ما كانوا ذلك يقصدون، وكيف يقصدونه وكان من بينهم الخزاز والقصاب والتاجر والغني الموسر، وعن جعفر الخلدي[1] قال: (دخل رجل على الجنيد[2] فأراد أن يخرج من ملكه كله و يجلس معهم على الفقر، قال: فسمعت الجنيد (رحمه الله) يقول له: (لا تخرج كل ما معك، احبس مقدار ما يكفيك، وأخرج الفضل، وتقوَّت بما حبست، واجتهد في طلب الحلال، فلست آمن عليك أن تطالبك نفسك)[3].

وكان أبو الحسن الشاذلي[4] يقول لأصحابه: (كلوا من أطيب الطعام، واشربوا من ألذ الشراب، وناموا على أوطأ الفراش، والبسوا لين الثياب، فإن أحدكم إذا فعل ذلك وقال: الحمد لله، يستجيب كل عضو فيه للشكر، بخلاف ما إذا أكل خبز الشعير بالملح ولبس العباءة، ونام على الأرض، وشرب الماء المالح الساخن، وقال: الحمد لله، فإنه يقول ذلك وعنده اشمئزاز وبعض سخط

---

(١) جعفر بن محمد بن نصير أبو محمد الخواص، بغدادي المنشأ والمولد، صحب الجنيد بن محمد وعرف بصحبته، وكان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم، وتوفي ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. انظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ٣٢٦، مصدر سابق.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) اللمع ص ٢٧٤، مصدر سابق.

(٤) سبقت ترجمته.

على مقدور الله – تعالى)[1].

و كثيرا ما أرشد شيخنا أحمد رضوان إلى العمل والتكسب وابتغاء الرزق بدليل أنه عمل بالزراعة – كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ويتضح ذلك أيضا أنه حينما تحدث عن أقسام الجذب، ذكر منهم قسما تصنعيا، وأبان(بأن صاحبه يتصنع الجذب، هروباً من طلب المعيشة ومسئولياتها ليستريح ويتواكل، وهذا من الخطأ العظيم)[2].

ومن أقواله الثمينة في ذلك: (الإصلاح بين الناس خير من الجلوس في المساجد، و رغيف الجائع خير من الجلوس في المساجد)[3].

---

(١) الإمام عبد الوهاب الشعراني، المنح السنية على الوصية المتبولية ص ٧٦، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ سنة ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

(٢) عباد الرحمن ص ١٩، مصدر سابق.

(٣) فيض المنان ص ٦، مصدر سابق.

المطلب الثاني
رفع التكليف

وضح بعض المتصوفة أن السالك قد يصل إلى مرتبة في اليقين، يُرفع عنه فيها التكليف، وقد فهم بعض أدعياء التصوف أن هذا معناه: إسقاط التكاليف الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها، فتركها بعضهم، واستغل منكرو التصوف ذلك، فقاموا بتوجيه نقد لاذع للصوفية في هذه المسألة، وذلك لاعتقادهم بأن التصوف يدعو إلى إسقاط التكاليف.

ويوضح الشيخ: أحمد رضوان معنى إسقاط التكاليف عند الصوفية فيقول: (يقول الصوفية: إن العبد يصل إلى مقام يسقط فيه التكليف، أي إلى حد تشتاق فيه جوارحه إلى طاعة الله)[1]، ويقول معنى رفع التكليف عن العبد: أي (إذا ترقى في المقامات – يعني تصير كلفا، أي أن الطاعة تصير لذة من باب: (أرحنا بها يا بلال)[2][3]).

ويفرق بين فهم الصوفية الربانيين لهذا الأمر وبين المدعين، فيخرج من يقول برفع التكاليف– وهم الإباحيون الذين كفرهم أهل السنة[4]، من حقل الصوفية، فيقول: (إذا مات العبد عن شهواته وأهوائه النفسية، وصار هواه تبعا لما جاء به النبي (ﷺ)، صار يترقى على الدوام في الدنيا وفي البرزخ وفي

---

(١) فيض المنان ص ١٠٣.

(٢) أخرجه أبو داوود –بسنده– في سننه، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، باب في صلاة العتمة ٤/ ٢٩٦، برقم ٤٩٨٥، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وقال محققه: قال الألباني: صحيح.

(٣) النفحات الربانية ص ١٢٢، مصدر سابق.

(٤) شرح العقائد النسفية ص ١٥٣، مصدر سابق.

الآخرة، وتكون العبادات والأعمال بالنسبة له كلفا وتشريفا، لا تكلفا وتكليفا، وهذا هو الصوفي الصحيح، وليس الصوفي ذلك الذي يقول: (وصلنا إلى مقام رفع عنا فيه التكليف)، فهذا أشد في الضرر على المؤمنين من إبليس، ومنهم من يختلط بالمرأة الأجنبية ويقول: إني على حال مع الله)[١].

ويحذر من المشايخ الضالين فيقول: (والحذر يا إخواني من التأخير عن الطاعات وارتكاب الذنوب، ولا يغرنكم قول بعض المشايخ الذين يقولون لتلاميذهم: ما دمتم معنا فلا خوف عليكم، فإن الله يقول: **(فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)**)[٢].

فالصوفية حريصون على التزام الأمر والنهي، وعدم الخروج عن حرم الشريعة، بل إن مجاهدة النفس أصل أصيل من أصولهم، ولا يحصي العادون كلام الصوفية حول مجاهدة النفس، ووجوب تخليتها من أدرانها الخبيثة، وتحليتها بكل خلق سني، كما قال ابن عطاء الله السكندري[٣]: (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته)[٤].

وانتقد شيوخ التصوف بشدة، فكرة القول برفع التكاليف الشرعية عن العبد، موضحين أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن العبد بحال من الأحوال، فالتكليف يكتنفه حتى الموت، كما قال الله لرسوله (ﷺ): **(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)**[٥]، ولا يسقط عن العبد إلا بزوال عقله.

---

(١) النفحات الربانية ص ٤٩، مصدر سابق.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٣، والآية من سورة البقرة: ١٧٥.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) الحكم العطائية ص ١٥٣، مصدر سابق.

(٥) سورة الحجر:٩٩.

وعن ذلك يقول الجنيد[١]: (من ادعى أن له حالا مع الله أسقط عنه التكليف، وهو حاضر العقل، فهو كاذب، ومن يسرق ويزني أفضل حالا من هذ)ا[٢]، وقد قيل للنصر أباذي[٣]: (إن بعض الناس يجالسون النسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن فقال:ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والنهى باق، والتحليل والتحريم مخاطب به، ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات)[٤].

ووصف الغزالي[٥] الخارجين عن الشرع، بضلالهم عن التصوف الصحيح فانتقدهم- ضمن من خصهم بالنقد- قائلا: (وقائل ثان: يدعي علم التصوف، ويزعم أنه قد بلغ مبلغاً ترقى عن الحاجة إلى العبادة!، وقائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة! وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف)[٦].

وكيف يقول الصوفية برفع التكاليف الشرعية، ومنهجهم قائم على عدم تتبع الرخص والأخذ بالعزائم، والحرص على اتباع السنة؟!، ومن أقوال شيخنا في ذلك: (ترك الجماعة تفويت للسنة)[٧].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ٥٧٤، حرف الجيم، مصدر سابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) الرسالة القشيرية ص٨٦، مصدر سابق.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) الإمام أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال ص ١٩١، دار الكتب الحديثة، مصر، تحقيق الدكتور/ عبد الحليم محمود، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٧) فيض المنان ص ٧، مصدر سابق.

المطلب الثالث
الرقص وهز الرؤوس في الذكر، إذا كان عن غير وجد

يكاد لا تجد مولدا من موالد الأولياء والصالحين وأهل البيت (ﷺ) إلا ويتخلل الذكر رقصا وطربا، وهذا الأمر قام بإنكاره الشيخ، موضحا بأنه من المحدثات التي لم يكن عليها الصوفية الأوائل فيقول: (الصوفية قوم بنوا أمرهم على الكتاب والسنة، وهم يعطون كل ذي حق حقه من عمل مباح أو أمر أو نهي، يثبتون مذهبهم على ذلك، أما ما أحدثه بعض الناس من الرقص والغناء فهم براء منه، إنما ذلك أمر اختلقه المتأخرون لضعف سيرهم، وعدم علمهم بعظمة ربهم، و ليس رجل يسير إلى ربه إلا بمتابعة رسوله (ﷺ).... واعلموا أنه من فارق الاقتداء مات على غير سنة رسول الله (ﷺ))[1].

واختلاق المتأخرين للرقص، إنما كان بسبب حركات الوجد أو التواجد التي تحدث من المتواجدين، (فلما كانت حركات الوجد ومعاملات أهل التواجد شبيهة بالرقص، فقد قلدهم في ذلك جماعة، وغالوا في ذلك، وجعلوا منه مذهبا، وهناك جماعة من العوام يظنون أن مذهب التصوف إلا هذا)[2].

كما شاهد الشيخ ما اعترى التصوف من انحراف، بسبب دخول الأدعياء فيه، وكان منهم الذين يعتقدون بأن التصوف ما هو إلا إظهار هز الرؤوس أثناء الذكر، والتمايل يمنة ويسرة، ولهذا قام الشيخ بتقويم هذا الاعوجاج بكل حسم

---

(١) العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان- حياته وآثاره ص ١٤٠، مصدر سابق

(٢) انظر: آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ص ٢٠٨ باختصار، ترجمة: محمد إسماعيل السيد- رضا حامد قطب منشورات الجمل – كولونيا (ألمانيا)، بغداد، ط١ سنة ٢٠٠٦م.

قائلا: (ليس التصوف لبس الصوف، أو هو هز الرؤوس، أو هز السبح)[١]، وهاجم ما يجري في الريف مما يقوم به البعض من ذكر الله بهز الرؤوس وارتكاب بعض الحركات قائلا: (إنه غير صحيح)[٢]، وقال: (إنه يؤتي بالرجل الذي يتمايل في ذكره يوم القيامة، ويقال له: فعلت هذا ليقال عنك تقي، لم يكن ذكرك لله بل لنفسك، فإن العبد كلما ذكر الله حقا، كلما زاد خضوعا وخشوعا وإخباتا وشوقا إليه تعالى، وليس الأمر تمايلا أو صراخا فلا ضرورة لذلك مطلقا)[٣].

ولا شك أن انتقاد الشيخ للرقص أثناء الذكر أو هز الرؤوس، يراد به: إذا كان عن قصد لا عن وجد، لأن أهل الوجد يُعذرون إذا صدرت منهم هذه الأمور، أثناء السماع الصوفي، الممتلئ بالإشارات والتعابير والرموز التي تصادف ما هم عليه من أحوال سنية، ومقامات قدسية، فيفهمون منها ما لا يفهمه سواهم، كما في فتح الباري عن قصة مغيث وبريرة: (ويستنبط من هذا معذرة أهل المحبة في الله، إذا حصل لهم الوجد من سماع ما يفهمون منه الإشارة إلى أحوالهم، حيث يظهر منهم ما لا يصدر عن اختيار من الرقص ونحوه)[٤].

---

(١) الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠.

(٣) النفحات الربانية ص ١٠٤، مصدر سابق.

(٤) الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري٩ /٤١٤، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

المطلب الرابع
الغلو في محبة آل البيت (رضي الله عنهم)

من أصول الإيمان محبة آل بيت النبي (ﷺ) وتوقيرهم وإجلالهم، بدون غلو ولا إفراط أو تفريط، وقد قال رسول الله (ﷺ): (أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)(١).

ولقد كان الشيخ محبا لآل البيت (رضي الله عنهم) عارفا لهم قدرهم ومنزلتهم ويقول: (إن حبهم يشرح الصدور، ويديم السرور، قال أبو بكر: ارقبوا محمدا في آل بيته)(٢)، وكان يقول: (إني أحب الفرزدق(٣) لمدحه سيدنا زين العابدين(٤)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨.

(٢) المدرسة الرضوانية ص ٤٥، مصدر سابق.

(٣) واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة يكنى أبا فراس، وكان الفرزدق سيداً جواداً فاضلاً وجيهاً عند الخلفاء والأمراء، هاشمي الرأي في أيام بني أمية،، وتوفي سنة عشر ومائة. انظر الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، معجم الشعراء ص ٤٨٦، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢ سنة١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو.

(٤) الإمام أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) أجمعين، المعروف بزين العابدين، ويقال له علي الأصغر، وهو من سادات التابعين، وتوفي سنة أربع وتسعين، وقيل تسع وتسعين، وقيل اثنتين وتسعين للهجرة بالمدينة، ودفن في البقيع. انظر وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦ وما بعدها، مصدر سابق.

بالقصيدة المشهورة:

هذا الذي تعرف البطحـــاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحــــــرم

هذا ابن خير عباد الله كلهـــــم * هذا التقي النقي الطاهر العلـــم

ومنها.

من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم)[١]

وحين وقع بعض المتصوفة في قضية تتعلق بعقائد التشيع، وهي تفضيل الإمام عليّ (ﷺ)، على كثير من الصحابة، وبالذات الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان (ﷺ)، فلما رأى الشيخ ذلك رغب في تصحيح هذا الانحراف، وبدا بغضه إياه، فأكد على أن اعتقاده موافق لاعتقاد أصول أهل السنة في هذه المسألة، وهو محبة جميع الصحابة، وعدم بغض البعض ومحبة البعض، فقال: (من الشيعة من يؤله الإمام عليا، فيعتقد فيه الألوهية، ومنهم قسم يعتقد فيه الرسالة، أي أنه رسول الله، وأنا لا أقول إلا بحب الصحابة كلهم، قال رسول الله (ﷺ) (اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ[٢])، وأنا مذهبي في ذلك أن الأنبياء والرسل والصحابة والأولياء لا أتكلم فيهم، ومن مات من المسلمين لا أتكلم فيه)[٣].

---

(١) المدرسة الرضوانية ص ٤٥، مصدر سابق، وانظر القصيدة كاملة في ديوان الفــرزدق ص ٨٩ -٩١، بدون بيانات.

(٢) سنن الترمذي، باب فيمن سب أصحاب النبي (ﷺ) ٦/ ١٧٩، رقم ٣٨٦٢، دار الغــرب الإسلامي – بيروت، سنة ١٩٩٨م، المحقق/ بشار عواد معروف، و قال: هذا حــديث غريب.

(٣) النفحات الربانية ص ١٢٤، ١٢٥، باختصار.

المطلب الخامس
انتقال المريد بين الشيوخ والطرق الصوفية

حذر الإمام الشعراني[١] من الاعتماد في التسليك على شيخ واحد للأخذ عنه، وإلا حجّر المريد واسعا، فقال: (احذر أن تقتصر على شيخ واحد في هذا الزمان، فإنه تحجير لك، وقلة نفع لك، بل اعتقد في كل شيخ يحصل لك الخير منه)[٢].

ولقد سمع الشيخ: أحمد رضوان أن بعض مشايخ الطريق يمنعون المريدين من الانتقال عنهم إلى سواهم من المشايخ الآخرين، باعتقادهم أن طريقتهم هي المثلى والأفضل مما عداها، فقال عنهم: (ومنهم من يمنع تلامذته أن يزوروا الصالحين، والقوم – يقصد الصوفية– لا يقولون بهذا القول الذي دُسَّ عليهم في كتبهم ... واستحب بعض القوم الأخذ على شيوخ كثيرة، ومنهم من أخذ عن سبعين شيخا)[٣]، ثم ذكر نفسه وتأدبه مع شيوخه قائلا: (وقد سلك الفقير هذا المسلك، فأخذ على شيوخ كثيرة، وما أنتقص أحدا منهم)[٤].

وقول الشيخ بأن من مشايخ التصوف ممن يمنع تنقل المريد بين الشيوخ، هو كلام صحيح، حتى أن بعض الشيوخ أوجب ذلك الأمر، خوفا من الجدال الذي ربما يحصل بين المريدين والضغائن، بسبب أن كل مريد يعتبر طريقته هي الطريقة الصحيحة، لكن لعل مقصودهم من المنع، أي في حالة إذا كانوا في بداية تسلكهم، أما إذا بلغ المريدون درجة الكمال، فليس على الشيوخ منعهم من

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) موازين القاصرين من شيوخ ومريدين ص ٥٨، مصدر سابق.

(٣) الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره ص ١٥٨، ١٥٩ باختصار.

(٤) المصدر السابق من نفس الموضع.

زيارة شيوخ آخرين أو الأخذ عنهم.

ويوضح ذلك الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ: السمنودي[١] قائلا عن المريدين: (اعلم أن منعهم من الزيارة واجب على الشيخ، ما لم يبلغوا درجة الكمال من الرجال، فإذا عُلم من المريد أنه بلغ الغاية في الترقي وأشرف على الأم التي تفرعت منها كل طريق، ورأى الطرق كلها تدور وتُجمع في بحر واحد، فهناك له الزيارة)[٢].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) تحفة السالكين ودلالة السائرين ص ١٢١، مصدر سابق.

المطلب السادس
الجذب

منهج الشيخ أنه ضد الجذب والمجاذيب، مؤثرا حال الصحو واليقظة على حال السكر والاصطلام، فهو(كالجنيد[١] وأتباعه، يفضلون الصحو على السكر، لأنهم يقولون أن السكر شر، لأنه ينطوي على اضطراب الأحوال العادية للفرد، وفقدان العقل، وعدم ضبط النفس)[٢].

ويتضح ميل الشيخ إلى مذهب الجنيد وأتباعه، من طلبه من المريدين أن لا يكونوا مجاذيب، أو أن يجلسوا مع المجاذيب[٣]، ويعلل ذلك بأن المجاذيب لا ينفعون الناس، لأن الذي ينفع في طريق الله هم العلماء بربهم، العاملون بالكتاب والسنة، الجامعون للحقيقة والشريعة[٤]، وأيضا:لأن الله تعبدنا بالشريعة، ولم يتعبدنا بالجذب[٥].

ويعقد الشيخ مقارنة لبيان الأفضلية، بين حال المجاذيب، وبين المؤمن في حال اليقظة، وقد فنى فناء شرعيا، وهو الفناء عن إرادة السوي، فبيّن فضل المؤمن في حال اليقظة، الذي لا يقع في حال السكر، ووصفه بالكمال والتمكين، لأنه حال الرسول وحال الصحابة والكمل من الأولياء، فإنهم من أكثر الناس لله ذكرا، وأشدهم له تعبدا، وعلى الرغم من ذلك لم يقعوا في حال السكر، وكذلك كان رسول الله أخشى الناس لربه، وأقرب الخلق إليه، لكنه ما وقع في حال السكر والاصطلام، ولهذا كان حال الرسول الذي لم يصعق قط، أتم من حال

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) كشف المحجوب ص ١٥٩، مصدر سابق.

(٣) عباد الرحمن ص٣٣، مصدر سابق.

(٤) النفحات الربانية ص ٢٣٢.

(٥) المصدر السابق ص ١١٣ باختصار.

موسى الذي صعق حينما تجلى ربه للجبل .

وإلى ذلك يشير الشيخ بقوله: (الفناء الحقيقي هو استهلاك شهوات النفوس وحظوظها، وهذا في الكامل دائماً، والكامل الحقيقي أنفاسه كلها مع الله، وهو ربما يرقى في اللحظة الواحدة أكثر من ألف مجذوب، فالكامل أرقى وأرقى، يأكل ويشرب، وله دوام المشاهدة، والكمال عندهم أن يكون القلب مجذوباً إلى حضرة الله، باقياً فيه، مؤدياً لأوامره، تاركاً لنواهيه، فإذا فني أحدهم أو صعق اعتذر إلى الله، وأول من اعتذر إلى ربه بعد صعقه سيدنا موسى، **(فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ)**(١).

ورسولنا (ﷺ) ليلة الإسراء لم يصعق لاستواء ظاهره وباطنه، وبصره وبصيرته، قال تعالى: **(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)**(٢)، وهكذا دأب ورثته الكمل، فإنهم مع ربهم، قائمون على باب حضرته، عارفون بجلاله وجماله، وأحكامه وأيامه)(٣).

وفي ضوء ما تقدم يتضح بأن الشيخ كان له عقل واع، وفهم ثاقب، ودراية راسخة بالتصوف الصحيح والتصوف المنحرف، بالصوفية الأصلاء وبالدخلاء، وبأفعال هؤلاء وأولئك، ولم يحل حبه للتصوف ومشايخه، من نقد أفعال بعض المنتسبين إليه، والإشارة إلى أغلاطهم، وتصحيح الأفكار الخاطئة عن التصوف، وهذا يدل على رسوخ قدم الشيخ في الطريق، و غيرته علي التصوف والصوفية، وأنه يريد تقويم ما اعوج من التصوف بمرور الأيام والعصور، ليبرئ التصوف من فئة تدثرت في لباسه زورا، ولبسوا ثياب أهله رسما وتلوينا، وبينهم وبينه بُعد المشرقين.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٥.

(٢) سورة النجم: ١٧.

(٣) النفحات الربانية ص ٢٢٧، ٢٢٨، باختصار، مصدر سابق.



النتائج:

لك الحمد كله ربي على التوفيق، ولك الشكر أجمعه على الإعانة، ولك الحمد والشكر من قبل ومن بعد، على إتمام هذا البحث الذي عنِيَ بتتبع الأقوال النُّورانية ذات المنح القدسية، للشيخ أحمد محمد رضوان- عليه سحائب الرحمة والمغفرة، الذي كان من المكرَّمين في جامعة الأزهر الشريف، بحضور شيخ الأزهر الأسبق: فضيلة الشيخ: حسن مأمون، ورئيس الجامعة آنذاك الدكتور/ أحمد حسن الباقوري، وصفوة من الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة.

ولا غرو، فلقد كان الشيخ ممن حظى بمقام القرب والشهود، والولاية والعرفان، والكرامات الظاهرة والباطنة التي شهد له بها جميع معاصريه، كما كان له نظرة عميقة في إصلاح التصوف والعناية بالمريدين والأتباع، ومساعدتهم في التخلص من أمراض النفس وشهواتها، لأن تزكية النفوس وتطهيرها من الأدران والكدورات فيها صلاح للأفراد وللمجتمعات على حد سواء، وكان شيخنا يعي أن شرط صحة التزكية: العلم والفقه في دين الله، لئلا يقع المريد فريسة للشيطان، ولهذا أكد على ضرورة التفقه للمريدين، وجعل ساحته المباركة كعبة للعلم، يقصدها المحبون والمريدون من كل حدب ينسلون، لينتفعوا بعلم الشيخ وإشاراته النُّورانية ودقائق المعاني التي خصه الله- تعالى- بها، في شتى مسائل الشريعة.

ولا تزال ساحته وستظل عامرة بأولاده وذريته الطاهرين، الذين ينشرون من خلاها العلم النافع، ويحيون سنة النبي (ﷺ) بين الناس، ويربون المريدين على استقامة السلوك وصلاح النفس، حتى يكونوا أعضاء في المجتمع نافعين لدينهم ولأوطانهم.

ونجمل النتائج التي توصل لها البحث، والتي تبرز ملامح إصلاح التصوف في فكره (رحمه الله) فيما يلي.

١- لم تكن الطريقة عند الشيخ سبيلاً للتكسب، ولا وسيلة يسترزق بها كما يفعل أدعياء التصوف، بل كانت منهجاً تربوياً لتربية المريدين، ومسلكاً قويماً للتعريف بما في الإسلام من سماحة وحب ونقاء وخير، وسما بوظيفة الطرق حينما ذكر بأن الشريعة تقول لك: اعمل، والحقيقة تقول لك: أخلص، والطريقة تقول لك: اتبع.

٢- التصوف في نظر الشيخ مبني على الكتاب والسنة، ووضح أن أيَّ خروج عنهما يعد خروجا عن سنن التصوف الصحيح، ويؤدي بصاحبه إلى الخروج من دائرة الصوفية المتحققين، وربط بين الفقه والتصوف برباط متين، وأوصى بعدم إعطاء عهد الطرق للجهال من الناس.

٣- ذكر الشيخ أهمية المرشد والمربي في سلوك الطريق إلى الله، ووضع له شروطا وصفات، كي يؤخذ هذا العلم عن أهله، المختصين به، ولا ينخدع العامة بأدعياء التصوف، الذين تقلدوا درجة التسليك والإرشاد، بدون علم وعمل ولا خبرة بالإرشاد، فضلوا وأضلوا.

٤- لم يقل الشيخ بتقديس المشايخ، وإنما دعا إلى مزيد احترام للمشايخ والمنتسبين إلى جناب الله، كما أمرت بذلك الشريعة، و نظم العلاقة بين المريد وبين شيخه، عبر آداب يتحلى بها معه، مثل الاستئذان أثناء الدخول عليه، ولزوم الأدب في مجلسه، ومن حُرم الأدب حُرم العطاء.

٥- ربط الشيخ بين نيل درجة المعرفة وبين الالتزام بالشريعة برباط وثيق، وأعلن أن ميزان مقياس الولي الصادق من الدعيِّ الكاذب، هو تقوى الله والعمل الصالح، وأشار إلى أنه إذا صح الإرث للولي في أفعاله بحسن الاتباع، ولزوم

الاقتداء، لا يَبعُد أن يُتحفه الله – تعالى– بالكرامات.

٦- تناول الشيخ في أحاديثه الكلام عن أحوال الصوفية ومقاماتهم، حيث تحدث- حديث أهل التمكين- عن التوبة والخوف والرجاء والشكر والتوكل والجمع وغيرهم، و لم يخرج كلامه عن دائرة الكتاب والسنة، وأقوال أئمة الصوفية، مؤكدا على أن جانب الاهتمام بالمريدين، وتربيتهم تربية ربانية، ومساعدتهم في اقتحام عقبات النفس الأمارة بالسوء، عامل كبير من عوامل إصلاح التصوف، الذي يؤثر في إصلاح المجتمع.

٧- الفناء الذي يدعو إليه الشيخ، هو الفناء عن حظوظ النفس وشهواتها ورغباتها، بحيث لا يكون في القلب مثقال ذرة لغير الله، وهو ما يسمى بالفناء عن إرادة السوي، وفيه تصير إرادة المؤمن من إرادة مولاه، والشيخ ممن يفضل حال الصحو والبقاء واليقظة على حال السكر والجذب والاصطلام.

٨- وضح البحث نقد الشيخ بعض مظاهر التصوف التي رأى خروجها عن الشريعة، مثل هز الرؤوس والرقص في حلق الذكر، إذا كان عن غير وجد، وكمنع بعض مشايخ الطريق للمريدين من الانتقال عنهم إلى سواهم من المشايخ الآخرين، الذي رأى أنه مدسوس على الصوفية في كتبهم، ومثل الغلو في آل البيت (رضي الله عنهم).

٩- صحح الشيخ الفكر المغلوط عن التصوف بأنه يدعو إلى التواكل والانعزالية والكسل، وترك التكسب والعمل والإنتاج، وذلك حين صدع بأن الإصلاح بين الناس خير من الجلوس في المساجد، وأن رغيف الجائع خير من الجلوس في المساجد.

١٠- قام الشيخ بتقديم نقد لاذع لمن يقول من الصوفية الأدعياء برفع التكاليف الشرعية عن العبد حين وصوله إلى درجة معينة من العبادة، ووضح

أن المقصود من قول بعض الصوفية بهذا المصطلح، هو أن تكون العبادات والأعمال بالنسبة له كلفا وتشريفا، لا تكلفا وتكليفا، وحذر من قول بعض المشايخ لتلاميذهم: ما دمتم معنا فلا خوف عليكم، وأكد على أن هؤلاء ليسوا من الصوفية.

١١- رد الشيخ على من يدعي بأن التصوف يقوم على عقيدة الحلول والاتحاد، وذلك حينما أعلن رفضه لهذه العقيدة الباطلة، مقررا أن الله -تعالى - ما انفصل عن شيء، وما دخل في شيء، ولا يقبل المثلية، فلا نظير ولا ند له.

١٢- فلسفة وحدة الوجود في نظر الشيخ مستنبطة من دلالات اسم الله (القيوم)، وتتلخص في نسبة الأشياء الكونية كلها إلى الله، أي أن الأشياء ثابتة بإثباته إياها، وأنها ممحوة بأحدية ذاته، فلولا قيامه بها لم تقم لها قائمة.

التوصيات.

يوصي الباحث بدراسة كلام أئمة الصوفية والزهاد المتعلق بالإصلاح المجتمعي – فكريا واقتصاديا، وأثر توجيهاتهم في العصر الذي كانوا يعيشون فيه، ومدى الاستفادة منها في واقعنا المعاصر، بحيث تكون ثمة دراسة مستفيضة أو سلسلة دراسات تختص بتحليل أقوال مجموعة من المشايخ في كل عصر، وقياس مدى تأثير توجيهاتهم ونصائحهم في الإصلاح المجتمعي.

المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، آنا ماري شيمل، ترجمة: محمد إسماعيل السيد- رضا حامد قطب، منشورات الجمل – كولونيا (ألمانيا) بغداد، ط١، سنة ٢٠٠٦م.
- **إبعاد الغمم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، الإمام أحمد بن عجيبة الحسني، هذبه ونقحه د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، سنة ٢٠٠٩م.
- **أبو يزيد البسطامي – المجموعة الصوفية الكاملة**، دار المدى سنة ٢٠٠٤م، تحقيق وتقديم: قاسم محمد عباس.
- **إحياء علوم الدين**، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة – بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- **الأنوار لأعمال الأبرار**، الإمام يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخ النشر، تحقيق: محمد السيد عثمان.
- **بداية التعرف في شرح نُقاية التصوف**، الشيخ: محمد خليل الخطيب النيدي، بدون ذكر دار النشر، سنة ٢٠٠٦م.
- **بغية أولي الأفهام في الفرق بين الحال والمقام**، الإمام محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي، بدون ذكر دار النشر، ط١، سنة ١٣٨٩هـ.
- **بوابة اليوم السابع**- يوم الخميس بتاريخ ٦ نوفمبر ٢٠٠٨م.
- **تجديد الخطاب الصوفي(٨)**، د. مستشار محمود أبو الفيض – شيخ السادة الفيضية الشاذلية، مقال في مجلة التصوف الإسلامي، عدد ٤٩٨، جمادى ثان

١٤٤١هـ- فبراير ٢٠٢٠م.

• **تحفة السالكين ودلائل السائرين لمنهج المقربين**، الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ: محمد المنير السمنودي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، سنة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

• **ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين**، الإمام تقي الدين عبد الرحمن ابن عبد المحسن الواسطي، المطبعة المصرية، سنة ١٣٠٤هـ.

• **التشرف بذكر أهل التصوف**، قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، دار المشاريع للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

• **التعرف لمذهب أهل التصوف**، الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي الحنفي، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.

• **تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي**، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، ط١، سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

• **الجواهر المضيئة، إبراهيم الدسوقي**، مكتبة الرفاعي، ط١٠، سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق إبراهيم الرفاعي.

• **حالة أهل الحقيقة مع الله**، الشيخ: أحمد الرفاعي، دار جوامع الكلم – القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ.

• **الحكم العطائية**، شرح ابن عباد النفري الرندي، مركز الأهرام – القاهرة ط١، سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دراسة: محمد عبد المقصود هيكل.

• **خواطر ومعاني حول الدعاء الرضواني**، أ. محمود حسين الكتاني، بدون بيانات.

• **درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب**

وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبي الحسن الشاذلي، الشيخ: الحميري المعروف بابن الصباغ، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون رقم طبعة وتاريخ.

- **الرسالة القشيرية**، الإمام عبد الكريم القشيري، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، سنة ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، وضع حواشيه: خليل المنصور.
- **سر الشيخ: رضوان في حياة جمال عبد الناصر، مقال على بوابة مجلة روز اليوسف** – تاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٨م.
- **شرح العقائد النسفية**، الإمام سعد الدين التفتازاني، دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان، سنة ١٤٣٦هـ– ٢٠١٤م، تحقيق: أ. علي كمال.
- **شرح مشكلات الفتوحات المكية**– ابن عربي، الجيلي، د. يوسف زيدان، دار الأمين – القاهرة، ط١، سنة ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.
- **طبقات الأولياء، ابن الملقن**، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ط ٢، سنة ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م، تحقيق: نور الدين شريبة.
- **الطبقات الصغرى – إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن**، الإمام زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، دار صادر – بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق: محمد أديب الجادر.
- **طبقات الصوفية**، الإمام محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- **العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان – حياته وآثاره**، الدكتور/ محمد فؤاد شاكر، مطبعة العمرانية للأوفست – الجيزة، سنة ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
- **عباد الرحمن من حديث مولانا العارف بالله الشيخ: أحمد رضوان**، حفيد

الشيخ: مصطفى محمد صبري، منتديات دار الإيمان، بدون رقم طبعة وتاريخ.

- **عوارف المعارف**، الإمام شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي، دار المعارف، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق د. عبد الحليم محمود – د. محمود بن الشريف.
- **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، الإمام عبد القادر الجيلاني، دار الألباب – بيروت – دمشق، خرج أحاديثه وآياته: محمد سالم البواب.
- **فيض المنان من كلام سيدي أحمد رضوان**، أ. إسماعيل بكري، بدون بيانات.
- **قضية التصوف – المدرسة الشاذلية**، الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط ٣، بدون تاريخ.
- **قواعد التصوف**، الشيخ: أحمد بن أحمد البرنسي المشهور بـــ زروق، دار البيروتي سوريا – دمشق، ط١، سنة ١٤٢٤هــ- ٢٠٠٤م، ضبطه وعلق عليه/ محمود بيروتي.
- **كشف المحجوب**، الإمام أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، ترجمة الشيخ: محمود أحمد ماضي أبو العزايم، إصدار جمعية أولي العزم الدينية، سنة ١٣٩٤هــ - ١٩٧٤م.
- **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، الإمام زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، دار صادر بيروت – لبنان، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق: محمد أديب الجادر.
- **اللمع**، الإمام أبو نصر السراج الطوسي، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، سنة ١٣٨٠هــ - ١٩٦٠م، تحقيق فضيلة الدكتور: عبد الحليم محمود – طه عبد الباقي سرور.

- **لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية**، الإمام عبد الوهاب الشعراني، دار القلم العربي – حلب، سنة ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.
- **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة، ط٣، بدون تاريخ.
- **المدرسة الرضوانية في الأحوال الربانية والأسرار الإلهية**، أ. أحمد عبد الملك، مطبعة الأهرام التجارية، سنة ١٣٩٢هـ– ١٩٧٢م.
- **مشكاة الأنوار**، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق د. أبو العلا عفيفي.
- **منازل السائرين إلى الحق المبين**، الإمام أبو إسماعيل الهروي، شرح عفيف الدين سليمان بن على التلمساني، أعده للنشر: عبد الحفيظ منصور، دار التركي للنشر، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- **المنح السنية على الوصية المتبولية**، الإمام عبد الوهاب الشعراني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.
- **المنقذ من الضلال**، الإمام أبو حامد الغزالي، دار الكتب الحديثة، مصر، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق الدكتور/ عبد الحليم محمود.
- **المنهج السديد في شرح كفاية المريد**، الإمام أبو عبده محمد بن يوسف السنوسي، دار الهدى – الجزائر، بدون رقم طبعة وتاريخ، تحقيق: الأستاذ مصطفى مرزوقي.
- **موازين القاصرين من شيوخ ومريدين**، الإمام عبد الوهاب الشعراني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، سنة ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.
- **النفحات الربانية في وصف أهل الحضرة الربانية**، الشيخ: محمد أحمد

رضوان، مطبعة أمين عبد الرحمن بالقاهرة، ط١، سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.

- **النفحات الربانية من أحاديث وأقوال وتوجيهات العارف بالله الشيخ: أحمد محمد رضوان**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- **الوجود**، الإمام عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، سنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، تحقيق: السيد يوسف أحمد.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٠٣٥
الملخص باللغة الإنجليزية	١٠٣٧
مقدمة	١٠٣٩
التمهيد: نبذة عن حياة الشيخ: أحمد رضوان- سيرة ومسيرة	١٠٤٥
المبحث الأول: مفهوم التصوف وارتباطه بالكتاب والسنة في فكر الشيخ: أحمد رضوان	١٠٥٥
• **المطلب الأول:** مفهوم التصوف وارتباطه بالكتاب والسنة	١٠٥٥
• **المطلب الثاني:** ربط التصوف بالفقه	١٠٦٥
المبحث الثاني: الرؤية الإصلاحية للشيخ أحمد رضوان في قضايا التصوف الكبرى	١٠٧٢
• **المطلب الأول:** الشيخ والمريد	١٠٧٣
• **المطلب الثاني:** العارف وصفاته	١٠٨٣
• **المطلب الثالث:** الولاية والكرامة	١٠٨٨
• **المطلب الرابع:** عقيدة وحدة الوجود	١٠٩٥
المبحث الثالث: عناية الشيخ: أحمد رضوان بالجانب التربوي والترقي الروحي للمريدين (المقامات والأحول)	١١٠١
• **المطلب الأول:** مقام التوبة	١١٠٣
• **المطلب الثاني:** مقام الخوف	١١٠٦
• **المطلب الثالث:** مقام الرجاء	١١٠٩

• **المطلب الرابع:** مقام الشكر	١١١٢
• **المطلب الخامس:** مقام التوكل	١١١٤
• **المطلب السادس:** حال الفناء	١١١٧
• **المطلب السابع:** الجمع وجمع الجمع	١١٢١
المبحث الرابع: نقد الشيخ: أحمد رضوان بعض مظاهر التصوف المنحرف وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن التصوف	١١٢٥
• **المطلب الأول:** التصوف وترك المعيشة	١١٢٧
• **المطلب الثاني:** رفع التكليف	١١٢٩
• **المطلب الثالث:** الرقص وهز الرؤوس في الذكر، إذا كان عن غير وجد	١١٣٢
• **المطلب الرابع:** الغلو في محبة آل البيت (رضي الله عنهم)	١١٣٤
• **المطلب الخامس:** انتقال المريد بين الشيوخ والطرق الصوفية	١١٣٦
• **المطلب السادس:** الجذب	١١٣٨
الخاتمة	١١٤٠
المصادر والمراجع	١١٤٤
فهرس الموضوعات	١١٥٠



